جامعة الأزهر
كلية البنات
الأزهرية
بطيبة

المجلة

الخطيب
بين الإقنـاع والإمتـاع
The orator and his ability to persuade and please

إعداد

د / إبراهيم عبد الله مرسى

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية

Orator between persuasion and pleasure
In the name of of Allah the Merciful

- Praise be to Allaah, Lord of the Worlds, and I bear witness that there is no god except Allah, the creation of man, His knowledge of the statement, and I bear witness that Muhammad is His servant and His Messenger,

- It is the instrument of the statement and the weapon of persuasion, and raise the pleasures, inflame feelings, and raise feelings and the speaker can have the keys of the minds, and shake the strings of hearts with the force of proof, and the beauty of his style, And the seriousness of the words, and taking into account the conditions of people in the diversity of the premises of his speech.

- And the oratorvwho wants to earn the fruits of his effort, and his sermon to eat at all times with the permission of the Lord, must work in two directions go side by side, convince the minds and the enjoyment of souls, and stir feelings and will not reach the Khatib to this place only if convinced of the validity of his idea, and influenced by it, Until he is convinced, and will not affect until he is affected, because what came out of the heart reached the hearts, and what came out of the tongue did not exceed the ears.

*** <u>The results of this research</u>:**

1 - Public discourse is the function of prophets and messengers and advocates and reformers, and the language of leaders and politicians, and they dispelled

disputes and rivalries, and people return to the oasis of peace and safety.

2- The Oator vwho wants to capture the hearts and enjoyment of the minds of the people and reach the desired change is not delivered on their ears as a sender, but must be based on clear evidence and compelling arguments to demonstrate the truthfulness of his words and the validity of his idea.

3 – Orator can not reach the enjoyment of souls except the skill and style of diversity, and the quality of expression in the strength of emotion, good pronunciation and clarity and suitability.

4 – intended Orator influence the interviewers, and stir their emotions and ignite their feelings with the strength of his argument and the beauty of his style and the sweetness of his logic.

And pray to our Lord Muhammad and his family and and thank Allah the god of companions and followers everything

الخطيب بين الإقناع والإمتاع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله، خلق الإنسان، علمه البيان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، آتاه الله جوامع الكلم وجواهر الحكم ..... وبعد،

فإن الخطابة من الوسائل المهمة التى لها مكانتها السامية، فهى لسان الدعوة الإسلامية، الناطق بتعاليمها وأحكامها، وهى أداة البيان وسلاح الإقناع، ومرقاة الإمتاع، تلهب المشاعر، وتثير الأحاسيس والخطيب يستطيع أن يملك مفاتيح العقول، وأن يهز أوتار القلوب بقوة برهانه، وجمال أسلوبه، ومتانة ألفاظه، ومراعاة أحوال الناس فى تنوع مقامات خطابه.

والخطيب الذى يريد أن يجنى ثمار جهده، وتؤتى خطبته أكلها كل حين بإذن ربها، لابد أن يعمل فى اتجاهيين يسيران جنباً إلى جنب ، إقناع العقول وإمتاع النفوس، وإثارة الأحاسيس ولن يصل الخطيب إلى هذا المقام إلا إذا امقتنع بصحة فكرته، وتأثر بها، فلن يقنع حتى يقتنع، ولن يؤثر حتى يتأثر، لأن ما خرج من القلب وصل إلى القلوب، وما خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان.

* ومن نتائج هذا البحث

1- أن الخطابة وظيفة الأنبياء والمرسلين وادعاة والمصلحين، ولسان القادة والساسة، وأنها تفض المنازاعات والخصومات ، وترد الناس إلى واحة السلام ودوحة الأمان.

2- أن الخطيب الذى يريد أن يستحوذ على القلوب وإمتاع عقول الناس ويصل إلى التغيير المنشود لا يلقى على مسامعهم كلاماً مرسلاً، وإنما لابد أن يعتمد

على الأدلة الواضحة والحجج الدامغة للتدليل على صدق كلامه وصحة فكرته.

3- لا يستطيع الخطيب أن يصل إلى إمتاع النفوس إلا ببراعة الأسلوب وتنوعه، وجودة التعبير فى قوة عاطفته، وحسن اللفظ ووضوحه وتناسبه.

4- إن مراد الخطيب التأثير فى المخاطبين، وإثارة عواطفهم وإشعال مشاعرهم بقوة حجته وجمال أسلوبه وعذوبة منطقه.

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين

والحمد لله رب العالمين

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، آتاه الله جوامع الكلم، وجواهر الحكم، فكان - صلى الله عليه وسلم - شمس الفصاحة، وصبح الحجة، وقمر الهداية، ونور التبيان.

فاللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وبعد،

فإن الخطابة من الوسائل المهمة التى لها مكانتها السامية، ومنزلتها السامقة، فهى لسان الدعوة الإسلامية الناطق بتعاليمها وأحكامها وآدابها وتوجيهاتها.

وهى أداة البيان، وآلة الإفهام، وسلاح الإقناع، ومرقاة الإمتاع، تلهب المشاعر، وتثير الأحاسيس، وتشحذ الهمم، وتبعث على الإقدام، وتحمى من الإحجام.

ومما لا شك فيه أن الخطابة قد حازت قصب السبق فى ميدان تبليغ الدعوة إلى الله تعالى، والبلاغ عنه سبحانه، ولقد كان النبى – ρ – خطيبًا لا يبارى، ومتكلمًا لا يجارى، وكذلك الخلفاء الراشدون، وأصحابه أجمعون، والتابعون من بعدهم كانوا خطباء بلغاء، وكانت كلماتهم تدك عروش العقول، وتهز

أوتار القلوب، وتحرك مشاعر النفوس، وتحول الكافر إلى مسلم، بل مؤمن، والفاسد إلى صالح بل مصلح، والضال إلى مهتدى بل إلى هادى، لأنهم كانوا يجمعون بين الأقوال والأفعال، ويخطبون فى الناس بأحوالهم قبل أقوالهم.

والخطابة ليست علمًا يستوعب، وتحفظ قواعده وأصوله فقط، ولكنها موهبة وملكة تُصقل بالدراسة، وتُنمى بالممارسة والمكابدة والمعاناة، وتزداد توهجًا وتألقًا بالقراءة الدائبة، والمطالعة المستمرة فى كل علم وفى كل فن، وكذا الوقوف على تجارب السابقين من الخطباء النابهين.

والخطيب يستطيع أن يملك مفاتيح العقول، وأن يهز أوتار القلوب بقوة برهانه، وجمال أسلوبه، ومتانة ألفاظه، ومراعاة أحوال الناس فى تنوع مقامات خطابه، وبحسن سيرته وجمال بزته وهندامه.

والخطيب الذى يريد أن يجنى ثمار جهده، وتؤتى خطبته أُكُلَها كل حين بإذن ربها، لابد أن يعمل فى اتجاهين يسيران جنبًا إلى جنب، إقناع العقول وإشباع الأذهان، وإمتاع النفوس وإثارة الأحاسيس، ولن يستطيع أن يصل إلى هذا المقام إلا إذا اقتنع بصحة فكرته، وتأثر بها حتى خالطت دمه ولحمه وأعصابه، فلن يقنع حتى يقتنع، ولن يؤثر حتى يتأثر، لأن ما خرج من القلب وصل إلى القلوب من أقصر طريق، وما خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان وذهبت كلماته أدراج الرياح.

من أجل ذلك كله آثرت أن يكون عنوان بحثى عن: " الخطيب بين الإقناع والإمتاع " ، وقد قسمته إلى مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة: فقد ذكرت فيها أهمية الموضوع ودوره فى امتلاك العقول والنفوس وتوجيهها إلى الهدف المأمول.

التمهيد: فقد ذكرت فيه مفهوم الخطابة، وأهميتها فى حياة الناس عامة والمسلمين على وجه الخصوص، وكذا التعريف بالخطيب الذى يقوم بمهمة البلاغ عن الله تعالى.

المبحث الأول: الإقناع

المبحث الثانى: الإمتاع

المبحث الثالث: التأثير

الخاتمة: فقد تضمنت أهم النتائج وثبت بأهم المراجع .

والله أسأل أن يرزقنا جميعًا التوفيق والسداد

فإنه ولى ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل

التمهيد

يحسن بى قبل الشروع فى هذا البحث أن أقول كلمة موجزة عن الخطابة، وكذا عن الخطيب الذى سيقوم بمهمة البلاغ عن الله تعالى، والذى سيكون محور بحثى بإذن الله تعالى، أقول وبالله التوفيق وبه الإعانة بدءًا وختمًا.

تعريف الخطابة لغة واصطلاحًا:

تعريف الخطابة لغة: إذا يممنا وجوهنا إلى المعاجم العربية والقواميس اللغوية لكى نتعرف على المعنى اللغوى فإننا نجد أن معناها ينحصر فى ثلاثة معان تقريبًا:

الأول: الطلب ودلالتها كما جاء فى أساس البلاغة " ومن المجاز فلان يخطب عمل كذا يطلبه "[1] وخطب المرأة يخطبها خطبًا وخطبة[2] ،أى طلبها للزواج.

الثانى: المواجهة بالكلام ودلالتها " خاطبه أحسن الخطاب"[3] أى واجهة بأحسن الكلام وتخاطباً معنى تواجهًا بالكلام وتحادثًا .

الثالث: الأمر والشأن الذى تحدث فيه الجلبة وارتفاع الأصوات، ومدلول ذلك كما فى لسان العرب " الخطب ": الشأن أو الأمر صغر أو عظم يقال ما

---

(١) أساس البلاغة للزمخشرى (255/1)، دار الكتب العلمية، ط/ الأولى 1419هـ – 1998م تحقيق: محمد باسل عيون السود.

(٢) لسان العرب: لابن منظور: مادة خطب (98/5)، دار صادر بيروت ط* الرابعة 2005م ، القاموس المحيط للفيروزآبادى ص(80) مؤسسة الرسالة بيروت، ط/ الثامنة 1426هـ – 2005م، تحقيق مكتبة التراث .

(٣) أساس البلاغة للزمخشرى (256/1)

خطبك؟ أى: ما أمرك؟ وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: ژآبببپپژ[1] ژہھھھژ[2] وتقول هذا خطب جليل وخطب يسير[3].

ولقد لخص الجوهرى المدلول اللغوى لمادة خطب بقوله " خطبت على المنبر خطبة بالضم وخطبت المرأة خطبة بالكسر واختطب فيها "[4]

ومن خلال هذه المعانى التى دلت عليها مادة " خطب " ندرك المقصود من كلمة " خطابة" ومشتقاتها وهى تعنى مواجهة الناس بالكلام مع طلب الإصغاء فى أى شأن أو فى أى أمر من الأمور أو كما قال الشيخ على محفوظ رحمه الله تعالى " الخطابة فى اللغة توجيه الكلام نحو الغير للإفهام"[5].

من كل ما سبق نستطيع أن نقرر أن كلمة الخطابة تدور حول معان ثلاثة:

الأول: الطلب والرغبة فى الشيء.

الثانى: الشأن والأمر.

الثالث: المواجهة بالكلام وملكة البيان وفصاحة اللسان.

---

(١) سورة الذاريات : الآية (31)

(2) سورة طه : الآية (95)

(3) لسان العرب مادة " خطب " (97/5) القاموس المحيط ص (80) .

(4) الصحاح للجوهرى مادة " خطب " (121/1) دار العلم للملايين ط/ الرابعة 1407هـ – 1987م . تحقيق/ أحمد عبد الغفور عطا ، مختار الصحاح لأبى بكر الرازى ص(92)، المكتبة العصرية بيروت ط/ الخامسة 1420هـ – 1999م، تحقيق/ يوسف الشيخ محمد .

(5) فن الخطابة للشيخ على محفوظ ص(13) دار الاعتصام 1984م

تعريف الخطابة اصطلاحًا:

سأكتفى بإذن الله تعالى فى تعريف الخطابة اصطلاحًا بما ذكره المتخصصون فى مجال دراستنا من فرسان الكلمة، وحملة لواء الدعوة، ومن لهم قدم صدق فى البلاغ عن الله تعالى، وإرشاد الناس إلى ما ينفعهم فى دنياهم وأخراهم :

1- يقول الشيخ على محفوظ : " إنها ملكة الإقتدار على الإقناع وإستمالة القلوب وحمل الغير على ما يراد منه "[1]

2- ويرى الشيخ محمد أبو زهرة: أن الخطابة صفة راسخة فى نفس المتكلم يقتدر بها على التصرف فى فنون القول لمحاولة التأثير على نفوس السامعين وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم[2].

3- ويذهب الدكتور عبد الجليل شلبى: أن الخطابة " فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والإستمالة"[3]

4- ويقول الدكتور/ أحمد الحوفى بأن الخطابة: فن مشافهة الجماهير وإقناعه واستمالته[4].

---

(1) فن الخطابة الشيخ على محفوظ ص(14)

(2) الخطابة أصولها تاريخها أزهى عصورها عند العرب للإمام محمد أبو زهرة ص(15) دار الفكر العربى القاهرة .

(3) الخطابة وإعداد الخطيب أ.د/ عبد الجليل شلبى ص (13) دار الشروق ، ط/ الثالثة 1408هـ - 1987م

(4) فن الخطابة د/ أحمد محمد الحوفى، ص(5) دار نهضة مصر ط/ الثانية 1998م.

5- وقيل بأنها: فن من فنون الكلام يقصد به التأثير فى الجمهور عن طريق السمع والبصر معًا[1].

6- وقيل بأنها: خطاب يلقى من فرد على جماعة بقصد التأثير فى نفوسهم وإقناعهم بأمر من الأمور[2].

7- ويرى الدكتور/ محمود عمارة: بأن الخطابة " فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والإستمالة"[3].

8- ويقول الأستاذ الدكتور أحمد غلوش/ أنها علم يقتدر بتطبيق قواعده على مشافهة المستمعين بفنون القول المختلفة لمحاولة التأثير فى نفوسهم وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم[4].

والمتأمل فى هذه التعريفات، والناظر فيها نظرة متفحصة يرى أنها متقاربة فى المضمون والمحتوى مع ما بينها من فروق تجعل بعضها جامعًا لكل عناصر الخطابة فى حين لا يستجمع بعضها الآخر كل هذه العناصر، ولست بصدد شرح هذه التعريفات وتعقبها بالنقد والتحليل لبيان أوجه القصور أو الكمال فيها، وإنما استطيع أن أقول بأنها مجتمعة يمكن أن استخلص منها العناصر الكاملة للخطابة إذ بدون عنصر منها لا يكون التعريف جامعًا ولا مانعًا وهى:-

---

(1) الخطابة فى الإسلام وإعداد الخطيب الداعية د/ مصلح سيد بيومى ، ص(11)، مكتبة المجلد العربى القاهرة ط/ الثانية 1408هـ - 1988م.

(2) البلاغة والأدب للشيخ إبراهيم الصباغ (9/2) ، بيروت .

(3) الخطابة فى موكب الدعوة د/ محمود محمد عمارة (10/1)، مطبعة وزارة الأوقاف.

(4) قواعد الخطابة ووقفة العيدين د/ أحمد غلوش ص(9) دار البيان ، ط/ الأولى 1979م.

1- الموهبة والملكة والاستعداد الفطرى والغريزى التى تجعل صاحبها ذا قدرة عقلية وقلب ذكى ثابت الجنان طلق اللسان خاليًا من العيوب الكلامية يستطيع التحدث فى مختلف الموضوعات وفى شتى المناسبات.

2- المشافهة والمخاطبة ومواجهة جمع من الناس بالكلام وإلا كانت كتابة سواء كانت شعرًا أو نثرًا.

3- الجمهور فلابد أن يواجه الخطيب بكلامه عددًا من الناس نستطيع لكثرتهم أن نطلق عليهم لفظ جمهور وإلا كان الكلام حديثًا عاديًا أو وصية أو حكمة لا يحتاج إلى لهجة خطابية.

4- الإلمام بالقواعد النظرية لعلم الخطابة ودراسة الأصول والقوانين التى وضعها أرباب هذا الفن.

5- الممارسة والمران لأن ملكة الخطابة لا تتوفر فى الإنسان دفعة واحدة بل لابد لطالبها من المعاناة والمكابدة والممارسة لكى تنمو موهبته إن كان صاحب موهبة وملكة واستعداد فطرى فيصير خطيبًا مفوهاً يشار إليه بالبنان إذ جمع بين الموهبة والدراسة والممارسة والمران وأيضاً الوقوف على تجارب السابقين من الخطباء والبلغاء وكذا الإكثار من القراءة والإطلاع على كل فن من فنون العلم والمعرفة.

6- الإقناع وهو أن يقدم الخطيب الأدلة المختلفة على صدق كلامه، وصحة فكرته ليتسنى له إقناع المستمع، وإلا كان كلامًا مرسلاً أو لغوًا أو إبداءً للرأى فى أى قضية من القضايا أو إعلانًا عن شيء ما.

7- الإمتاع وهو أن يقدم الخطيب خطبته بأسلوب جزل وبلفظ متين أخاذ وكلام عذب يمتع النفوس.

8- الاستمالة وهى تحريك عواطف المخاطبين، واستثارة مشاعرهم وأحاسيسهم، والعزف على أوتار قلوبهم، وتهييج انفعالهم بالموضوع حتى يصلوا إلى درجة الإذعان والتسليم بحيث يصبحوا أكثر حماسًا إلى العمل بما يقول الخطيب إن كان أمرًا أو إلى تركه إن كان نهيًا.

وبعد هذا العرض أستطيع أن أضع تعريفًا جامعًا لكل العناصر السابقة ومانعًا أن يدخل فيه أى فن آخر مسترشدًا بأقوال علمائنا الأجلاء وهو أن الخطابة: فن له أصول وقواعد يرشد الإنسان الموهوب إلى مخاطبة الجماهير فى أى أمر من الأمور بطريقة إلقائية تقنع العقول وتمتع النفوس، وتستميل الأهواء والغرائز لكى يصل إلى التغيير المنشود أو المأمول.

تعريف الخطيب لغة واصطلاحًا:

الخطيب فى اللغة**: هو الذى يقوم بفعل الخطابة ويحسنها فقد جاء فى لسان العرب "ورجل خطيب: حسن الخطبة "**[1] .

(1) لسان العرب (98/5)

الخطيب اصطلاحًا:

الخطيب **هو من يوجه خطبته إلى الناس لإقناعهم وإفهامهم وإمتاعهم والتأثير فيهم بجودة فكرته ونفاذ منطقه وحلاوة أسلوبه وجمال بزته وحسن هندامه وقوة شخصيته.**

" فالخطيب الماهر الحكيم يستطيع بما وهبه الله عز وجل من نور الحكمة وقاطع الحجة وساطع البرهان وقوة البيان ومتانة علمه بتأليف وتركيب الأدوية النافعة أن يصحح القلوب من أمراضها وينبه العقول من غفلتها ويطهر النفوس من أدران النقائص والرذائل وينير أمامها السبل الموصلة إلى الرشد حتى ترجع من غيها وتعود إلى الاعتدال وتتحلى بالفضائل والكمال"[1].

وهو الذى " يرشد السامع إلى ما يحتاج إليه من أمور دينه ودنياه ويقيم له مراسيم لتقويم عيشه والاستعداد لمعاده"[2]

والخطيب الحاذق هو الذى يعرض فكرته فى ثوب قشيب يكسبها جمالاً ورونقًا يستهوى النفوس ويستحوذ على إعجاب الناس وإقبالهم عليه يقول الدكتور/ حسن عبد الحميد حسن: والخطيب كالتاجر تمامًا يعرض بضاعته على الناس ومهما بلغت بضاعته العلمية شأوها فلن يقبل الناس عليها إلا إذا أجاد فى حسن

---

(1) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والإرشاد، ص(74) ، دار الاعتصام .

(2) الخطابة للشيخ أبو زهرة ص (18)

عرضها وجودة ترتيبها وسلامة الذوق فيها، وأضاف إليها من الجمال الفنى ما يبهر النفوس فتقبل عليها إعجابًا وحبًا لها[1].

أهمية الخطابة:

للخطابة أهمية بالغة، ومكانة عالية، ومنزلة سامية فى حياة الأمم والجماعات والأفراد وكفى للخطابة فضلاً وشرفًا:

1- أنها وظيفة الأنبياء والمرسلين – صلوات الله وسلامه عليهم – والدعاة والمصلحين والمرشدين الذين يبغون هداية الناس إلى الطريق الموصل إلى الله رب العالمين.

2- أنها لسان القادة فى إلهاب عواطف الجنود وإذكاء روح الجهاد والإقدام والتضحية فى نفوسهم فيحرصون على الشهادة حرصهم على الحياة.

3- أنها وسيلة للإقناع والتأثير والدلالة على الله عز وجل بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إليه سبحانه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن.

4- أنها تبغى للإنسان السعادة والعزة والكرامة والسؤود والفلاح فى الدنيا والآخرة.

5- أنها تتعلق بأشرف أجزاء الإنسان روحه وعقله ووجدانه وضميره يقول الشيخ على محفوظ : " وفضله عظيم وشرفه جسيم فإنه متعلق بطب الأرواح وعلاج النفوس لتصل إلى السعادة، ولما كان الإنسان مركبًا من الجسم

---

(1) الخطابة الدينية علم وفن وسلوك د/ حسن عبد الحميد حسن – بحث منشور فى مجلة أصول الدين والدعوة بأسيوط – العدد الثالث سنة 1985م ص(259)

والروح وكان كلاهما عرضة للأمراض والعلل لا جرم كان محتاجًا إلى طبين ومتشوقًا إلى علاجين علاج الجسم وعلاج الروح ولا شك أن أفضل الطبين ما أصلح أشرف الجزأيين "[1]

6- أنها تهدى النفوس الثائرة والغاضبة وهى فى نفس الوقت التى تثير حماسة ذوى النفوس الفاترة والأحاسيس المتبلدة وتحرك المشاعر وتهيج الوجدان.

7- أنها تفض المشاكل والنزاعات والخصومات وترد الناس إلى واحة السلم والسلام ودوحة الأمن والأمان.

8- أنها ترفع الحق وتخفض الباطل وتقيم العدل وترد المظالم وهى صوت المظلومين فى ساحات القضاء والحكم.

9- أنها لسان الساسة يقودون بها الأمم والشعوب إلى حيث يريدون وكذلك لسان الأحزاب والمذاهب تنشر دعواتها وتبين بها برامجها وتظفر بها على خصومها وكذلك هى لسان المعارضة يوضحون من خلالها سوءات الحزب الحاكم.

وكما يقول الدكتور الحوفى:" هى فى العصر عدة الزعماء والساسة تستند إليها الديمقراطية وتعتمد عليها الدكتاتورية، ويتسلح بها المؤتمرون فى المجامع الدولية ويصعد عليها النواب إلى قمة الشهرة وذيوع الأحدوثة، ويرتقى بها المحامون إلى الصيت الطائر والثراء الغامر "[2]

---

(1) هداية المرشدين للشيخ على محفوظ ص (72).

(2) فن الخطابة د/ أحمد الحوفى ص (8)

10- أنها " المرآه التى تعكس قوة المجتمع وضعفه، حيث تقوى الخطابة بقوته، وتضعف بضعفه، ولا يقف دورها عند هذا الحد، وإنما يتجاوز ذلك الدور إلى الإرشاد والتوجيه، فتسهم إسهامًا كبيرًا فى تجنب مواطن الضعف والذلة، وتدعم بجهودها مواطن القوة والعزة "[1].

وعلى الجملة: الخطابة مظهر اجتماعى للمجتمعات الراقية وهى معدودة من وسائل الزعامة، ولا يمكن بحال أن ينجح صاحب دعاية أو مؤمن بقضية أو مناد بفكرة أو صاحب رسالة أو إصلاح إلا بالخطابة. ρ

ومن هنا كانت الخطابة أرقى ما تجدها فى مناهج الرسل والأنبياء – عليهم صلوات الله وسلامه – ولقد كان إمامهم وخاتمهم محمد – صلى الله عليه وسلم – أعظم الناس خطيبًا وأبلغهم خطبة، ولما لا وقد آتاه الله جوامع الكلم وجواهر الحكم، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وأعطاه أسباب الإقناع والتأثير الذى يأخذ بالقلوب والألباب ما لم يبلغه قبله ولا بعده أحد من الناس.

والدعوة الإسلامية لابد لها من خطباء يدعون الناس إليها، ويُبينون أحكامها وجمال مبادئها ويذبون عن حياضها،ويعرضونها عرضًا حسنًا تستهوى النفوس وتقنع العقول وتستميل القلوب.

ولذا حظيت الخطابة فى الإسلام بأهمية كبرى ومكانة عظمى، ولا غرو " فهى مظهر الحياة المتحركة فيه، والحياة هى التى تجعل هذا الدين يزحف من

---

(1) المدخل لدراسة الخطابة وطريق تبليغ الإسلام ، د/ مصطفى أحمد أبو سمك، ص(19)، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، ط/ الأولى 1433هـ - 2012م.

قلب إلى قلب ويثب من فكر إلى فكر، وينتقل مع الزمان من جيل إلى جيل، ومع المكان من قطر إلى قطر، ومن ثم كانت من شعائر الإسلام البارزة بواسطتها تبلغ الدعوة إلى الناس"[1]

وحتى تكون جذوة الإيمان متقدة فى قلوب أهله، وحتى تكون الدعوة حيَّة فى قلوب أتباعها، وحتى تكون معالم الحق واضحة بين أفراد الجماعة المسلمة جعل الله الخطابة من شعائر الإسلام.

(أ) ففى كل اسبوع يحتشد المسلمون فى المسجد الجامع ليسمعوا داعية إلى الله يذكر به ويعلم دينه.

(ب) وفى كل عيد يجتمع الرجال والنساء فى الميادين الرحبة أو فى المصليات المحيطة بالقرية ليسمعوا التوجيه المناسب بعد صلاة العيد.

(ج) وفى كل موسم للحجيج تلتقى وفود الأمة الإسلامية المترامية الأطراف حول عرفة لتستمع إلى خطاب خطير يتناول شئونها ويشرح قضاياها ومبادئها[2].

(د) وفى كل موقف خطابى وفى كل فرصة تسنح يستدعى المقال والخطاب يتخذ الإسلام من ذلك فرصة ليقول كلمته وليعرض قبسًا من نوره وحكمًا من أحكامه وتعليمًا من تعاليمه.

---

(1) عدة الداعية : د/ فرج محمد الوصيف ، ص(234)، مكتبة الإيمان للطباعة والنشر.

(2) مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة: الشيخ محمد الغزالى، ص(110، 111)، دار الكتب الإسلامية، ط/ السادسة 1405هـ – 1985م .

هذا وقد حرص النبى – صلى الله عليه وسلم – على استعمال هذه الوسيلة المهمة والعظيمة قبل الهجرة وبعدها حتى لحق بالرفيق الأعلى، وكذلك نهج الخلفاء الراشدون منهج الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى كل موقف من المواقف الخطابية، وكذلك كل من جاء بعدهم حتى يوم الناس هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المبحث الأول
الإقنــاع

إن الخطيب الموفق هو الذى يتحسس مواقع القول، ويتخير بدقة ما يقوله للناس، مدعمًا هذا القول بالأدلة المختلفة حتى يصل بهم إلى الإقناع المطلوب، وله فى ذلك إبداعاته وصولاته وجولاته فى الإلقاء والتعبير والتشويق، وفى الاستحواذ على أحساسيس ومشاعر الناس، ولفت أنظارهم والاستحواذ على إعجابهم به، ويصل إلى التغيير المنشود لذا كثيرًا ما يحتاج الخطيب إلى الأدلة الواضحة، والبراهين الساطعة، والحجج الدامغة للتدليل على صحة فكرته وصدق كلامه، والأدلة التى يستخدمها الخطيب ثلاثة أنواع:

أولاً: الأدلة النقلية

وهى المأخوذة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة:

1- القرآن الكريم :-

فلابد للخطيب الماهر الذى ينبغى أن يصل إلى إقناع الناس بكلامه أن يضمنه شيئًا من القرآن الكريم فيضفى على كلامه الوقار والبهاء والقبول، يقول الجاحظ " إن الخطبة التى لم توشح بآيات من القرآن الكريم سميت شوهاء "[1]

.

ويقول أيضًا : " كانوا يستحسنون أن يكون يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمعة آى من القرآن فإن ذلك ما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وسلس

---

(1) البيان والتبيين للجاحظ (6/2)، دار مكتبة الهلال بيروت 1423هـ .

الموقع"[1]

أى أن خطباء السلف وأهل البيان وفرسان الكلمة كانوا يعدون خلو الخطبة من بعض الآيات القرآنية عيبًا وشينًا.

قال عمران بن حطان الخارجي: " خطبت عند زياد خطبة ظننت أنى لم أقصر فيها عن غاية ولم أدع لطاعن علة فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخًا يقول: هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شيء من القرآن "[2].

ويجب على الخطيب أن يكون على صلة وثيقة بعلوم القرآن حتى لا يستخدم دليلاً على غير مراد الله عز وجل، فإذا أحسن الخطيب الاستدلال بالنص القرآنى، ووضعه فى موضعه أزاح كل شبهة، وقطع كل حجة وأخرس كل معارض فلا دليل بعد القرآن، ولا حديث بعد كلام الله عز وجل: ﮋﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾[3] ﮋﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾[4] فلا يملك المخاطبون المؤمنون أمام الدليل القرآنى إلا أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأمنا وصدقنا.

وما دام الخطيب يتحدث باسم الله وبين عباد الله فلابد وأن ترتكز خطبته على كلام الله عز وجل يقول الشيخ الغزالى: " وتتفجر ينابيع الخطابة الصحيحة من معانى القرآن وأغراضه، فإن القرآن هو الكتاب الهادى للأحياء ذو القدرة

---

(1) البيان والتبيين للجاحظ (115/1) .

(2) البيان والتبيين للجاحظ (6/2)

(3) سورة النساء : الآية (87)

(4) سورة النساء : الآية (122)

الفذة على استثارة أفكارهم واستجاشة مشاعرهم والسمو بهم إلى ما يشاء فلا جرم كانت الخطابة المستمدة منه وقود نهضة وضياء أمة "[4]

فالقرآن الكريم له دور بارز وإيجابى على كافة مناحى الحياة يأخذها للتى هى أقوم، والخطيب الناجح هو الذى يحسن صحبة القرآن الكريم حفظًا وتلاوة وتدبرًا واستدلالاً واستنباطًا للأحكام والقواعد التى يعالج بها أمراض البشر، فالقرآن الكريم حياة للحياة والأحياء، " وإذا كان الغيث ينزل من السماء مدراراً ثم يسرى فى أخاديد الأرض ليخرج بعد ذلك جنات وحب الحصيد فإن القرآن له نفس الأثر فى دنيا الروح وملكات النفس الباطنة يغذيها وينميها ويشيع فى أرجائها سحرًا حلالاً وما يشبه أن يكون زرعًا وزيتونًا ونخلا يطعم الجائعين وأيضًا تسر الناظرين "[2]

فالقرآن الكريم بالنسبة للخطيب الواعى حجته الدامغة، وبرهانه الساطع، ودليله القاطع،ونوره الساطع، وينبوعه الصافى، ورايته الرفرافة، يعطى كلامه حلاوة وطلاوة ويزيده بهاءً ورونقًا ووضاءة، ويعطيه فصاحة وبيانًا ويمنحه اقناعًا وهداية وإرشادًا .

2- السنة النبوية المطهرة:-

وهى المصدر الثانى للخطيب بعد القرآن الكريم، وهى شارحة للقرآن، ومبينة له، ومفصلة لما أجمل منه، فعلى الخطيب النابه أن يضمن شيئاً من الأحاديث النبوية فى خطبته فيضفى عليها شيئاً كثيرًا من الجمال والكمال

---

(1) مع الله الشيخ الغزالى ص(271)

(2) الخطابة فى موكب الدعوة: د/ محمود عمارة (128/1)

والجلال، لأنها خرجت من فم طاهر لأعظم داعية، وأجل خطيب، وأكرم عقل فى الوجود، فهى نغمات قدسية، وتوجيهات ربانية، وتجليات آلهية، ومنهل للعلم النافع، والدليل القاطع والاستشهاد القانع، وهى أساس البلاغة، ومجمع الحكمة، وأصدق الكلم، وشمس الفصاحة، ونور التبيان، وصحيح الحجة، وقمر الهداية.

يقول الجاحظ وهو يصف كلام النبى – صلى الله عليه وسلم – : "ألقى الله على كلامه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وهو مع استيفائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته لم تسقط له كلمة، ولا زلت له قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب"(1).

وسنة النبى – صلى الله عليه وسلم – " سجل حافل لحياته وتجاربه وجهاده فى سبيل دعوته حوت من جوامع الكلم وجواهر الحكم وكنوز المعرفة، وأسرار الدين وحقائق الوجود، ومكارم الأخلاق، وروائع التشريع وخوالد التوجيه، ودقائق التربية، وشوامخ المواقف، وآيات البلاغة ثروة طائلة هائلة لا تنفد على كثرة الإنفاق، ولا تبلى جدتها بكر الغداة ومر العشى، ولا يستغنى داعية يريد أن يحدث أو يدرس أو يحاضر أو يخطب أو يكتب عن الرجوع إلى هذا المصدر الغنى والمنهل العذب ليستقى منه بقدر ما يتسع واديه فيرتوى ويروى "(2).

---

(1) البيان والتبيين (13/2)

(2) ثقافة الداعية: د/ يوسف القرضاوى، ص(42)، مكتبة وهبة القاهرة، ط/ الثامنة 1406هـ – 1986م، مدرسة الدعاة: د/عبد الله ناصح علوان،(267/1)، دار السلام للطباعة والنشر، ط/ الأولى1422هـ – 2001م.

وحتى يصل الخطيب إلى هذا المقام فينبغى عليه المعايشة التامة والدائمة لسنة النبى – صلى الله عليه وسلم – القولية والعملية وأن يقتبس منها ما ينير الطريق له ولمخاطبيه يقول الشيخ البهى الخولى: " فإذا أسمعك متحدث: قال– صلى الله عليه وسلم – فأرهف أذنك، واستجمع مواهبك ومشاعرك، لأنك ستسمع أصدق قول، وأنفع قول، وأطهر قول نطق به بشر، وهو بهذه الصفات غُنم تتضاءل إلى جانبه الدنيا وما فيها، غُنم عقلى وروحى واجتماعى وعملى، يجد فيه الباحث رى ظمئه إلى ما يشتهى من خير المنافع"(1).

ولما لا وهى خلاصة كاملة لتجارب أعظم عقل وعى القرآن الكريم، وفهم آيات الله المسطورة، وآياته المنظورة، ووقف على دواخل النفوس وعللها، وعلى مشكلات الحياة والأحياء وطرق العلاج والإصلاح.

فالاستدلال بالقرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة وهما المصدران الأساسيان، أدلة ساطعة، وبراهين قاطعة، وحجج دامغة، وهما حجة بذاتهما، فلا غنى للخطيب عنهما وكيف يستغنى عنهما، وهما أمضى سلاح به يستطيع الخطيب أن يحقق النجاح الباهر، ويحرز النصر العاجل فى ميدان الدعوة إلى الله، والبلاغ عنه ودلالة الخلق عليه، ويحقق أطيب النتائج فى مجال إقناع العقول وإمتاع النفوس.

وهناك أدلة حُجيتها تتوقف على عدم تعارضها مع القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة وتدور فى فلكهما ومنها:

---

(1) تذكرة الدعاة الشيخ البهى الخولى، ص(352)، مكتبة دار التراث ، ط/ الثانية 1408هـ – 1987م.

(أ) السيرة النبوية:

دراسة السيرة النبوية للخطيب أمر فى غاية الأهمية، فمن خلالها يتعرف على الإسلام من خلال التطبيق العملى الذى كان فى عهد النبى – صلى الله عليه وسلم – فينقل هذه التطبيقات العملية كأدلة دامغة، وبراهين ساطعة إلى مسامع المخاطبين، فيعيشون الإسلام فى صورته الحية التى يمكن تطبيقها فى كل زمان، وفى كل مكان، ولا سيما أن سيرة المصطفى– صلى الله عليه وسلم – شاملة لكافة مناحى الحياة، وشاملة كل النواحى الإنسانية فى البشر أجمعين " فهى تحكى لنا سيرة محمد الشاب الأمين المستقيم قبل أن يكرمه الله بالرسالة، كما تحكى لنا سيرة رسول الله الداعية إلى الله المتلمس أجدى الوسائل لقبول دعوته، البازل منتهى طاقته وجهده فى إبلاغ رسالته، كما تحكى لنا سيرته كرئيس دولة يضع لدولته أقوم النظم وأصحها ويحميها بيقظته وإخلاصه وصدقه بما يكفل لها النجاح، كما تحكى سيرة الرسول الزوج والأب فى حنو العاطفة وحسن المعاملة، والتمييز الواضح بين الحقوق والواجبات لكل من الزوج والزوجة والأولاد، كما تحكى لنا سيرة الرسول المربى المرشد الذى يشرف على تربية أصحابه تربية مثالية ينقل فيها من روحه إلى أرواحهم ومن نفسه إلى نفوسهم ما يجعلهم يحاولون الاقتداء به فى دقيق الأمور وكبيرها، كما تحكى لنا سيرة الرسول الصديق الذى يقوم بواجبات الصحبة، ويفى بالتزاماتها وآدابها مما يجعل أصحابه يحبونه كحبهم لأنفسهم وأكثر من حبهم لأهلهم وأقربائهم، وسيرة تحكى لنا سيرة المحارب الشجاع والقائد المنتصر والسياسى الناجح، والجار الأمين والمعاهد الصادق، وقصارى القول: أن سيرة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شاملة لجميع

النواحى الإنسانية فى المجتمع مما يجعله القدوة الصالحة لكل داعية وكل قائد وكل أب وكل زوج وكل صديق وكل مرب وكل سياسى وكل رئيس دولة، وهكذا لا نجد مثل هذا الشمول ولا قريبًا منه، فيمابقى لنا من سيرة الرسل السابقين ومؤسسى الديانات والفلاسفة المتقدمين والمتأخرين"[1].

فإذا استشهد الخطيب الموفق من سيرة الحبيب محمد – صلى الله عليه وسلم **– على صحة فكرته، وعلى القيم والمثل التى يدعو إليها ويريد من مستمعيه أن يلتزموا بها وينسجوا حياتهم على منوالها لكان كلامه أقوم قليلاً وأهدى سبيًلا، وتجد طريقها إلى القلوب والعقول، ولما لا والرسول–** صلى الله عليه وسلم **– فى سيرته أحسن قدوة تقتدى وأصلح أسوة تتأسى، وأهدى دليل يُتبع، وأقوى حجة يُقتنع، بل هو المثل الأعلى فى الكمال الإنسانى وصدق الله حين قال:** {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً] [2]

(1) السيرة النبوية دروس وعبر: د/ مصطفى السباعى، ص(15)، المكتب الإسلامى، ط/ التاسعة 1406هـ – 1986م .

(2) سورة الأحزاب : الآية رقم (21)

(ب) أحداث التاريخ الإنسانى

التاريخ الإنسانى عامة والإسلامى بخاصة مليئ بالمواقف والدروس والعبر، والخطيب الفاقه يتعامل مع أحداث التاريخ معاملة أخرى، فهو لا يسرد وقائع التاريخ لمجرد معرفة الأحداث أو للترف الفكرى أو لملء الفراغ لدى الناس، وإنما يركز على مواطن العبرة، ومواطن الدرس والعظة، فيذكر الفكرة ثم يغوص فى أحداث التاريخ ليستخرج الشواهد والأدلة التى يبرهن بها على وجهة نظره ودقة فهمه وصحة فكرته التى طرحها فيما يتعلق بحاضر الناس ومشاكلهم.

"والخطيب الناجح هو الذى يعيش التاريخ ويسبر غوره ليحاكم الحياة الجارية بقانونه مبشرًا ونذيرًا وله من القرآن خير معين فعندما ذكر القرآن أخبار الأولين لم يكن يهدف إلى التسلية وإمتاع الإسماع بقدر ما كان يهدف لفت القلوب إلى ما فى هذه الأخبار من قواعد وفوائد "[3].

فواجب الدعاة النابهين والخطباء الفاقهين أن يعرفوا المدعويين والمخاطبين بما كان من التاريخ ليواصلوا السير وفق المنهج المرسوم لهم من الله رب العالمين حتى يصلوا إلى ما ينبغى أن يكون، فيسعدوا فى دنياهم وأخراهم، لأنه ما من مشكلة أو مرض إلا وله جذوره الممتدة فى أغوار التاريخ وعلاج الشيء على ضوء ما يشاكله خير من العلاج المرتجل من غير فهم لأصوله

---

(1) الخطابة فى موكب الدعوة : د/ محمود عمارة (163/1).

وتطوره، ولهذا فبقدر فهم الأمة لحقائق تاريخها ومقدرتها على تفسيرها والاستفادة منها يكون حظها من الاستقامة أو الفوضى فى حياتها[1].

فإن ما جرى للأمم السابقة من نزول العذاب عليهم لتنكبهم الطريق، وضلالهم عن السبيل ليس بمستبعد أن ينزل على الأمم الحاضرة إن هم فعلوا فعلهم وسلكوا مسلكهم وساروا سيرهم، وعلى هذا فينبغى على الخطيب " أن ينظر إلى التاريخ على أنه مستودع لأخطاء الإنسانية وصوابها، وضلالها، وهداها، وما جنت من عواقبها من خير وشر، ويأخذ من ذلك لموضوعه بمقدار "[2].

ومن ثم يقدم الخطيب الشاهد والدليل لسامعيه حتى يرعووا عما هم عليه من غى أو انحراف، وعليه أن يقدم صورًا واقعية من حياة الناس مبينًا صوابها وخطأها، ومواطن الهدى والضلال فيها سواء كانت أخطاء فردية أو جماعية.

" فإذا أخذ الخطيب والداعية مادة حديثة من صميم ما يجرى فى هذه الحياة، وتحدث عن صوابه وخطئه وصور كلاً فى صورته الدارجة وعالجه بروحه الربانى، ووزنه بميزانه الإلهى، وأبدى الرأى فيه على ضوء فكرته، فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة وسيجد أن كلامه قد غمر الأسواق وسيطر على الأندية ودخل البيوت واستقر مع القراء فى المخادع واستولى على العقول لأن الخطيب والداعية

(1) تاريخ الدعوة : د/ جمعة الخولى ، (8)، دار الطباعة المحمدية، ط/ الأولى سنة 1984.

(2) تذكرة الدعاة: للشيخ البهى الخولى ص(363).

ينقلان له من الحياة التى يعيشونها وهذا من أنفع الطرق وأنجح السبل التى يسلكها الخطيب " [1].

ومما يستطيع الخطيب أن يدلل به أيضًا ليصل بالمستمعين إلى الإقناع بصحة فكرته وصائب نظره القصص والنقولات المختلفة من أقوال العلماء والوعاظ والحكماء والفقهاء والفلاسفة والشعراء شريطة أن لا تخرج من قواعد الدين وأصوله المقررة فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسنضرب عنها صفحا مخافة الإطالة.

ثانياً: الأدلة العقلية:

لقد أنعم الله عز وجل على عباده بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، ومن أجل هذه النعم وأعظمها نعمة العقل، فبه يكون الإنسان إنسانًا وبه يكون أهلاً للمسئولية وخلافة الله فى أرضه.

ودور العقل فى عمل الخطيب أساسى، ولا يمكن الاستغناء عنه لأن عليه أن ينوع الأدلة حتى يصل إلى الإقناع المطلوب من المخاطبين، ولذلك ينبغى عليه أن يركز على عقل المخاطب لتوجيهه إلى التفكير والتدبر فيما يدعى إليه أو يوجه إليه.

والعقل والنقل توأمان فى الإسلام وينبوعان للعلم والمعرفة يلتقيان فى مصب واحد، ألا وهو الإقناع، وقد جاء كثيرًا فى القرآن الكريم استعمال الأسلوب

---

(1) تذكرة الدعاة: للشيخ البهى الخولى، ص(366) بتصرف يسير، الخطابة فى موكب الدعاة: د/ محمود عمارة (166/1)

العقلى حتى يصل من خلاله إقناع المخاطبين كما فى قوله تعالى: ﮋ ﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﮊ[1] وكقوله عز وجل: ﮋﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﮊ .

والأساليب العقلية التى استعملها القرآن الكريم لكى يصل إلى الإقناع كثيرة ومتنوعة، وكذا السنة النبوية المطهرة ومنها:-

1- مخاطبة العقل السليم بأسلوب لا يستطيع صاحبه إلا أن يسلم به، كما فى قوله تعالى: ﮋﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﮊ وقوله سبحانه : ﮋﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮊ[4]

2- الاستنتاج القياسى: كما فى قوله عز وجل: ﮋﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﮊ[1] ، وقوله سبحانه: ﮋﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﮊ[2]

(1) سورة الطور : الآية (35)

(2) سورة النحل : الآية (17)

(3) سورة الأنبياء : الآية (22)

(4) سورة البقرة : الآية (258)

(1) سورة آل عمران : الآية (59)

(2) سورة يس : الآية (78 – 81)

3- **القياس المساوى: كقول النبى – صلى الله عليه وسلم – لمن استأذنه فى الزنا أتحبه لأمك؟ قال: لا، قال: وكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم**[3].

4- **قياس الأولى: كما فى قوله تعالى:** ﴿ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[4]

5- **قياس الخلف: كما فى قوله – صلى الله عليه وسلم – " وفى بضع أحدكم صدقة، قالوا يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر "**[1]

6- **الاستفهام التقريرى: كما فى قوله تعالى:** ﴿ ﴾[2]

7- **المقارنة بين الضددين لاختيار الأفضل، كما فى قوله عز وجل:** ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء{24} تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ{25} وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ

---

(3) مسند أحمد من حديث أبى أمامة الباهلى (545/36)، حديث رقم (22211) طبعة مؤسسة الرسالة ، ط/ الأولى 1421هـ – 2001م تحقيق شعيب الأرناؤوط

(4) سورة التوبة : الآية (13)

(1) مسلم كتاب الزكاة – باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف حديث رقم (1006) (99/4)، دار أبى حيان للطبع والنشر ، تحقيق: عصام الصبابطى وحازم محمد وعماد عامر، ط/ الأولى 1415هـ – 1995م

(2) سورة النحل : الآية (17)

كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ{26} ﴾[3]

وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاء مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4]

8- **أفحام الخصم: كما فى قوله تعالى:** ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ{149} أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ{150} أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ{151} وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ{152} أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ{153} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ{154} أَفَلَا تَذَكَّرُونَ{155} أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ{156} فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ{157} ﴾[1].

9- **القياس الإضمارى: وهو الذى تحذف إحدى المقدمات كما فى قوله تعالى:** ﴿ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾[2] **فالمقدمة المحذوفة فى الآية هى معجزة الخلق من العدم، لأن إعادة الخلق والبعث بعد الإيجاد من غير مثال سبق أهون وأيسر بكثير من الخلق والإيجاد من العدم كما قال تعالى:** ﴿ﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾[3] **فعلى المخاطب أن يُعمل عقله لإدراك المقدمة**

---

(3) سورة إبراهيم : الآيات (24 – 26)

(4) سورة الزمر : الآية (29)

(1) سورة النحل : الآية (62)

(2) سورة النحل : الآية (38)

(3) سورة الروم : الآية (27)

المحذوفة والربط بين المقدمتين، كما علمنا الله تعالى فى الآية السالفة الذكر.

ونعود فنقول: أن الخطيب كثيرًا ما يحتاج إلى التدليل بالأدلة العقلية على صحة رأيه وصائب فكره وهى نوعان:

(أ) الأدلة منطقية**: وهى المبنية على مقدمات ثابتة يقينية كأن يقول كل جماعة لابد لها من عقيدة، والمصريون جماعة، فالمصريون لابد لهم من عقيدة، هذا الدليل المنطقى إذا ساقه الخطيب ينشأ عند المخاطبين الاقتناع العقلى " فالدليل العقلى يتبعه اليقين فيعبر المقتنع عقليًا بقوله أعلم كذا أو أثق بكذا "[1] .**

وليس من المطلوب من الخطيب أن يقنع كل جمهوره، ويكفيه أنه كشف عن الأمور المقنعة ولو لم يحدث الإقناع " وحاله فى هذا كالحال فى بقية الفنون فالطب ليست مهمته أن يمنح الصحة حتمًا، ولكنه يتوخى هذا الغرض بقدر المستطاع"[2]

(ب) الأدلة الخطابية**: وهى المبنية على مقدمات ظنية أو المستمدة من العرف الشائع أو من الحكم المشهورة أو من أقوال الفلاسفة والمشرعين**

---

(1) فن الخطابة : د/ أحمد الحوفى ص(126)

(2) الخطابة لأرسطو طاليس، ترجمة د/ عبد الرحمن بدوى، ود/ إبراهيم سلامة (97/1)، دار القلم – بيروت.

وتنشأ عن هذه الأدلة الخطابية اقتناع شعورى يعبر الشخص المقتنع شعوريًا أنا أريد كذا[3].

والحق أن الخطيب الناجح هو الذى يتجه إلى المشاعر والأحاسيس يثيرها ويوقظها أكثر من اتجاهه إلى الأدلة المنطقية " لأن المستمعين كثيرًا ما يعرفون الخير ولكنهم لا يجدون العزيمة إلى العمل متأثرين بمنافعهم الخاصة أو بالإحجام عن بذل الجهد فإذا ما اعتمد الخطيب على الإقناع القلبى استطاع أن يوقظ العزائم واستطاع أن يسيطر على المشاعر لكنه لا يستطيع شيئًا من ذلك إلا إذا كان هو نفسه متأثرًا لأن تأثره يغذى سامعيه "[4].

فربما يحاول خطيب أن يقنع شابًا بمضار التدخين مثلاً أو بمضار أى عادة سيئة أخرى فيجده أشد اقتناعًا منه بالأضرار البالغة لهذه العادة ومع ذلك فهو يمارسها ولا يقلع عنها فهنا لم يجد أو ينفع الإقناع، ومن ثم لابد للخطيب أن يعمد إلى قلبه فيعزف على أوتاره، ويحرك مشاعره، ويستجيش أحاسيسه حتى يجد لكلامه سبيلاً إلى اقناعه شعوريًا فيستطيع عندئذ أن يتخلص من التدخين أو أى عادة سيئة أخرى.

---

(3) فن الخطابة : د/ أحمد الحوفى ص(126)

(1) فن الخطابة : د/ أحمد الحوفى ص (128)

المبحث الثانى
الإمتـاع

إن الاستحواذ على قلوب وعقول المخاطبين لا يتأتى للخطيب من سرد الأدلة وسوق الشواهد الذى يتبعه الإقناع بعد ذلك فحسب، ولكن الخطيب يحتاج إلى أمر أخر مع الإقناع ألا وهو إمتاع النفوس بجمال أسلوبه وعذوبة ألفاظه وسحر كلماته.

والخطيب الموفق هو الذى يحقق هذين الأمرين معًا فى مخاطبيه:

1- إقناع السامعين بصحة فكرته.

2- إمتاع السامعين بحسن بيانه وبلاغته.

ولكى يتحقق هذان الأمران لابد أن يكون الخطيب صاحب لسان وبيان وفصاحة، يقنع ويمتع مستمعيه ويؤثر فى نفوسهم، ولذلك يقول النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم– " إن من البيان لسحرا "[1] فالخطيب لا يصل إلى الأذهان والعقول، ولا يستطيع الإتصال بالقلوب إلا عن طريق الآذان، فبقوة البيان، وجمال الأسلوب، وفصاحة اللسان يملك الخطيب القلوب والعقول، ويؤثر فى النفوس والأرواح، ويحمل المخاطبين على الإذعان والتسليم والإمتثال فى سهولة ويسر فيقبلون على فعل المأمورات والفضائل، واجتناب المنهيات والموبقات والراذائل يقول ديل كارنيجى: " إن أولى ميزات الخطاب الجيد التواصل يجب أن يشعر

---

(1) البخارى كتاب النكاح – باب الخطبة حديث رقم [5146] (109/9) من الفتح دار الريان للتراث والمكتبة السلفية الفتح تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبد الباقى ط/ الثالثة 1407هـ .

المستمع أن هناك رسالة موجهة من ذهن وقلب الخطيب إلى ذهنه وقلبه"[1] ولا يتحقق هذا التواصل إلا ببلاغة القول وحسن اللفظ وبراعة الأسلوب وجودة التعبير " فإن الخطيب الماهر يدرك أن الأسلوب وكلمات التعبير بالنسبة له كالأحجار فى يد البنَّاء، فإذا كان الخطيب أديبًا فصيحًا بالفطرة والاكتساب استطاع أن يؤدى خطبة تسر السامعين كما يستطيع البَنَّاء أن يشيد بناءً يسر الناظرين "[2]

ولأهمية الألفاظ وضرورة الإهتمام بالألفاظ والتراكيب الإنشائية يقول الجاحظ: " إن المعنى إذا اكتسى لفظًا حسنًا وأعاره البليغ مخرجًا سهلاً صار فى قلبك أحلى، ولصدرك أملأ، والمعانى إذا كُسيت الألفاظ الكريمة، وألبست الأوصاف الرفيعة تحولت فى العيون عن مقادير صورها وأربت على حقائق أقدارها بقدر ما زُينت وحسب ما زخرفت "[3]

فتصوير المعانى القيمة بالألفاظ الفخمة له دور عظيم فى إمتاع نفوس السامعين، وإقناع عقولهم، ويضفى على الكلام رونقًا وبهاءً كالثوب يزين لابسه حسنًا وجمالاً، فإن جمال الأسلوب لازم كما أن كمال المعنى مطلوب، يقول الشيخ محمد الغزالى: والمعنى الرائع لا يكفى فلابد له من كساء حسن له، والقرآن معجزة أدبية أخرست المتحدين على مر العصور فكيف – بالله – يتعرض

---

(1) فن الخطابة : ديل كارنيجى ، (76)، دار ابن الجوزى ، ط/ الأولى 2012م .
(2) المدخل لدراسة الخطابة وطرق التلبيغ فى الإسلام د/ مصطفى سمك ص (83)
(3) البيان والتبيين للجاحظ (212/1)

لخطابة الناس بإسم الإسلام رجل ضعيف البصر بمعانى الكتاب الكريم أو بصير ببعضها ولكنه محروم من نعمة الأدب وحلاوة الأداء[1].

فالخطيب الماهر هو الذى يعمد إلى صياغة خطبته فى ثوب قشيب يتخير له الألفاظ المنمقة، والجمل المتراصة، والفقرات المترابطة، والتراكيب المنسقة، والأساليب السهلة، والمقامات المتنوعة، يقول أبو الهلال العسكرى: ليس الشأن فى إيراد المعانى لأن المعانى يعرفها العربى والعجمى، والقروى والبدوى، وإنما هو فى وجود اللفظ وصفائه وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته ومائه مع صحة السبك والتركيب، والخلو من أود النظم والتأليف .... من الألفاظ ما هو فخم كأنه يجر ذيول الأرجوان أنفة وتيها، ومنها ما هو ذو قعقعة كالجنود الزاحفة على الصفيح، ومنها ما هو كالسيف ذى حدين، ومنها ما هو كالنقاب الصفيق يلقيه الشعر على بعض العواطف ليستر من حدتها ويخفف من شدتها، ومنها ماله وميض البرق، ومنها ما له ابتسامة السماء وليالى الشتاء، ومنها ما يفعل كالمقرعة وهو كلام الانتقاد والتنديد، ومنها ما يجرى كالنبع الصافى وهو المعد للرضا والغفران، ومنها ما يضيء كالشهب وهو كلام التعظيم[2].

وحتى يصل الخطيب إلى المقام المطلوب فى الإقناع والإمتاع لابد وأن يلاحظ ما يلى فى ألفاظه وأسلوبه ومقاطع كلامه:

---

(1) مع الله دراسات فى الدعوة والدعاه : الشيخ محمد الغزالى ص(272، 273)

(2) الصناعتين لأبو الهلال العسكرى، تحقيق على محمد البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ص (57) المكتبة العصرية – بيروت 1419هـ.

أولاً: الألفاظ

الألفاظ هى التى تظهر المعانى وتجملها للناس حتى تسر السامعين ويجب أن يتحقق فيها ما يلى:

(أ) أن يكون اللفظ واضحًا مكشوفًا وقريبًا معروفًا لا غريبًا ولا مستكرهًا من السهل أن يدركه السامع ويفهمه المخاطب، وقد يكون اللفظ لفظًا عربيًا صحيحًا وفصيحًا، ولكنه غير شائع ولا متداول بين المخاطبين، واللغة العربية غنية بالمترادفات فبدلاً من قوله وغى يقول حرب[1]، ومن قوله سغب يقول جوع[2]، ومن قوله طلة يقول زوجة[3]، ومن قوله كنة يقول زوجة الإبن[4]، ومن قوله علوج يقول غصن[5]، ومن قوله خنشيل يقول سيف[6] لأن مثل هذه الكلمات يفوت على السامع الكثير مما يقوله الخطيب لأنه سيفكر فى معانيها ومراميها، وكذلك ستبعث هذه الكلمات الضجر فى نفسه وسيشعر

---

(1) المعجم الوجيز ص (675)، المطابع الأميرية 2006م

(2) المعجم الوجيز ص (312)

(3) جمهرة اللغة للآرذى، تحقيق: رمزى منير بعلبكى، (927/2) ، ط/ الأولى 1997م ، دار العلم للملايين.

(4) المعجم الوجيز ص (543)

(5) المعجم الوجيز ص (419)

(6) المخصص لابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (13/2)، دار التراث العربى – بيروت 1417هـ – 1996م.

المخاطب بأن محدثه يتحدث من كوكب آخر أو من برج عاجى على أقل تقدير.

(ب) ألا تكون الألفاظ مبتذلة أو مستفلة لدرجة العامية أو السوقية، فيذهب رونق الخطاب ويضيع جلال المعانى كأن يقول الخطيب لفظ أتعشم بدلاً من أرجو أو آمل أو لفظ افتكر بدلاً من أتفكر، أو أتأمل، أو لفظ وش بدلاً من وجه، أو لفظ ديب بدلاً من ذئب، أو لفظ دلوقتى بدلاً من الآن، أو لفظ تملى بدلاً من دائمًا، ونحو ذلك من الألفاظ العامية أو المبتذلة التى شاع استعمالها من بعض الخطباء بدعوى أن العوام لا يفهمون الفصحى وهذا خطأ لأن هؤلاء العوام يفهمون جيدًا ما يلقى على مسامعهم من أخبار عن طريق التلفاز أو المذياع وهى باللغة العربية الفصحى، فعلى الخطيب الحاذق أن يتخير ألفاظه دون تعقيد أو ابتذال حتى لا ينفر منه العامى والمثقف على حد سواء.

يقول الجاحظ: كما لا ينبغى أن يكون اللفظ عاميًا ولا ساقطًا سوقيًا فكذلك لا ينبغى أن يكون غريبًا وحشيًا[1].

ويقول بشر بن المعتمر فى وصاياه للخطيب: فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك أن تفهم العامة معانى الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسعة التى تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الأكفاء فأنت البليغ التام[2].

---

(1) البيان والتبيين للجاحظ (16/1)

(2) الخطابة لأبو زهرة ص(103)

(ج) أن تكون الألفاظ مناسبة للسامعين مثيرة لخيالهم موقظة للذكريات فى نفوسهم، ويتم هذا للخطيب إذا تحقق فى اللفظ شرطان:

الأول: الملائمة التامة بين الألفاظ وبين ما يريد استعماله فيها فإذا كان يخطب قومًا فى الحث على أداء فريضة الحج ذكر الحرم الشريف، ومقام إبراهيم والبقيع وزمزم، وإذا كان يخطب فى الحث على الصوم ذكر قرب الصائم من ربه والتجرد من ملاذ الحياة ومشارفة الصائم للمعانى القدسية، وغير ذلك من العبارات التى تثير الوجدان وتوقظ فى النفس معانى سامية.

ثانيهما: ألا تكون هذه الألفاظ قد أبلاها الاستعمال[3]، أو أن هذه الألفاظ قد تغيرت معانيها بمرور الزمن عند المخاطبين ككلمة سيارة مثلاً تعنى الآن المركبة ذات المحرك والعجلات والتى تدور بأحد مشتقات البترول مثلاً التى ينتقل بها الإنسان من مكان إلى مكان، وإن كان معناها قديمًا القافلة التى تضم مجموعة من الإبل قال تعالى: ﴿ڑ ک ک ک ک ڑ﴾[2] ، أو كلمة صعلوك عند العرب وهو الفتى القوى الشجاع الفاتك(3) فبينما الآن أصبحت كلمة تنم عن الوضاعة والحقارة(4) فلو قال قائل مثلاً سيدنا على بن أبى طالب – رضى الله عنه – صعلوك من صعاليك العرب غضب منه المخاطبون ومجوا كلامه وانصرفوا عنه.

---

(1) الخطابة لأبو زهرة ص(104)

(2) سورة يوسف: من الآية (19)

(3) المعجم الوجيز ص(365)

(4) المرجع السابق ص(365)

(د) أن يختار الخطيب الألفاظ الجزلة فى مكانها والألفاظ العذبة الرقيقة فى مكانها كذلك، فخطب التهديد والوعيد والحرب يختار لها الألفاظ الجزلة والقوية والفخمة التى تشعر المخاطبين بالإرعاد والإبراق كما فى خطب الحجاج وهو يهدد ويتوعد: " أما والله إنى لأحتمل الشر بحمله وأحذوه بفعله وأجزبه بنعله، وإنى أرى رؤوسًا قد أينعت وحان قطافها وإنى لصاحبها وإنى لأنظر إلى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى .... وإن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثر كنانته بين يده فعجم عيدانها فوجدنى أمرها عوداً، وأصليها مكسرًا، فرماكم بى لأنكم طالما أوضعتم فى الفتنة واضطجعتم فى مراقد الضلال، والله لأحزمنكم حزم السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل فإنكم كأهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون"(1).

أما خطب النصح والإرشاد والتبشير والزواج يختار لها الخطيب الألفاظ الرقيقة والعذبة والهادئة كخطبة الأكثم بن صيفى إبان ظهور الإسلام ينصح قومه وأهله بإتباعه قال:" يا بنى تميم لا تحضرنى سفيهًا فإنه من يسمع يخل أن السفيه يوهن من فوقه ويثبط من دونه لا خير فيمن لا عقل له كبرت سنى وداخلتنى ذلة

(1) البيان والتبيين للجاحظ (2/210– 211) باختصار، الكامل فى اللغة والأدب أبو العباس المبرد (1/298) دار الفكر العربى القاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط/ الثالثة 1417هـ – 1997م، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى (1/262)، دار الكتب العلمية بيروت، تاريخ الأمم والملوك للطبرى (6/203)، دار التراث بيروت ، ط/ الثانية 1387هـ .

فإذا رأيتم منى حسنًا فاقبلوه، وإن رأيتم منى غير ذلك فقومونى استقم، إن ابنى شَافه هذا الرجل – يقصد رسول الله –صلى الله عليه وسلم – وأتانى بخبره وكتابه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويأخذ بمحاسن الأخلاق، ويدعو إلى توحيد الله تعالى وخلع الأوثان، وترك الحلف بالنار، وقد عرف ذو الرأى منكم أن الفضل فيما يدعو إليه، وأن الرأى ترك ما نهى عنه، إن أحق الناس بمعونة محمد – صلى الله وعليه وسلم – ومساعدته على أمره أنتم، فإن يكن الذى يدعو إليه حقًا فهو لكم دون الناس، وإن يكن باطلاً كنتم أحق الناس بالكف عنه والستر عليه، فكونوا فى أمره أولاً ولا تكونوا آخرا، ائتوا طائعين قبل أن تأتوا كارهين، إن الذى يدعو إليه محمد – صلى الله عليه وسلم – لو لم يكن دينًا كان فى أخلاق الناس حسنًا أطيعونى واتبعوا أمرى "[1] فمقامات الألفاظ مختلفة فلكل مقام مقال ولكل حادث حديث.

---

(1) الفاخر لأبى طالب بن عاصم، ص (249)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى، ط/ الأولى 1380هـ، تحقيق عبد العليم الطحاوى، جمهرة الأمثال لأبى الهلال العسكرى (338/2) دار الفكر بيروت، مجمع الأمثال لأبى الفضل النيسابورى (367/2) دار المعرفة بيروت – لبنان، تحقيق محى الدين عبد الحميد، جمهرة خطب العرب فى العصور العربية الزاهرة: أحمد زكى صفوت (159/1) المكتبة العلمية بيروت.

ثانيًا: الأسلوب:

ليس مهمة الخطيب أن يُفهم المعانى للمخاطبين فحسب، وإنما مهمته أيضًا أن يكسو تلك المعانى ثوبًا قشيبًا بجمال أسلوبه وعذوبة كلامه فيلبسها حلة من نور، فتصير تلك المعانى نورًا على نور فيتسنى للمخاطبين أن يستمتعوا بجمالها ويسترشدوا بنورها فتملأ جوانحها عواطف جياشة تدفع نحو العمل والإمتثال، وبمقدار ما يكون الأسلوب الذى يعبر به الخطيب عن المعانى والأفكار قويًا ورائعًا وجذابًا وواضحًا يكون تأثيره على القلوب والنفوس بالإمتاع عاليًا واستيلاؤه على الأذهان والعقول بالإقناع كبيرًا، وأما إذا خلا أسلوب الخطيب من القوة والجمال والوضوح والإمتاع أدى ذلك إلى ضعف التأثير فى نفوس المخاطبين ونفور أسماعهم وسآمة قلوبهم وانصرافهم عنه بالكلية ولذلك يجب أن يتحقق فى الأسلوب ما يلى:-

(1) التفنن فى فنون القول وتصاريف الكلام بحيث يعبر عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة ومتنوعة، فيلبس المعنى الواحد أثوابًا كثيرة حتى يجذب السامعين إليه ولا يوقعهم فى الملل والسآمة لأن النفوس بطبيعتها ملولة وعن المعانى المكررة نفورة، أما إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب انشرح صدور المخاطبين وتجدد نشاطهم وأقبلوا عليه بقلوبهم وقوالبهم، وكان كمن انتقل من طعام إلى آخر ومن فاكهة إلى أخرى، كما فى قوله تعالى حكاية عن بنى اسرائيل ژگگگںںڻڻڻ ژ [1] ولذلك نجد القرآن الكريم يعرض علينا قصص الأنبياء بأساليب مغايرة فى كل سورة من سور القرآن الكريم، وعلى

---

(1) سورة البقرة : من الآية (61)

الخطيب " أن ينتقل بخفة ورشاقة من استخدام أسلوب التقرير إلى التعجب ثم إلى الاستفهام ثم إلى التهكم إلى آخر ما تزخر به اللغة العربية من أساليب وتعابير تمد الخطيب بما يحتاجه من أدوات التأثير الكلامية ووسائل الإقناع القولية التى تضفى على الخطبة روح التجديد من جانب وتستخرج رضا المستمع والمتلقى من جانب آخر "[1].

(2) تنوع الأسلوب حسب تنوع المقامات، فلكل مقام مقال، ففى مقام التحميس والتهديد نختار الأساليب الفخمة والعبارات القوية، وفى مقام التأبين وإظهار الألم والأسى نختار العبارات السهلة الرقيقة المؤثرة مثل قول الحجاج وهو يهدد أهل العراق: "أيها الناس من أعياه داؤه فعندى دواؤه، ومن استطال أجله فعلى أن أعجله، ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله، ومن استطال ماضى عمره قصرت عليه باقيه"[2] وكتلك العبارات الرقيقة والمؤثرة فى آن واحد التى أطلقها مكرم عبيد فى تأبين سعد زغلول " إن العظمة قبس من نور الله لا يفترض لأنه يوجد ولا يفهم، بل يرى ولا يُفكر فيه بل يحس به، وقد كان يكفى أن نرى سعدًا و نسمعه لنحس إحساسًا يكاد يكون ماديًا بتلك الشخصية العظيمة المنبعثة من كل حاسة فيه، فتارة يبرق بها نور عينه، وأخرى

---

(1) المدخل لدراسة الخطابة: د/ مصطفى سمك ص(148)

(2) نثر الدرر فى المحاضرات: لأبى سعد الآبى (17/5)، دار الكتب العلمية بيروت، ط/ الأولى 1424هـ – 2004م، تحقيق: عبد الغنى محفوظ، نهاية الأرب فى فنون الأدب: شهاب الدين النويرى (244/7)، دار الكتب والوثائق القومية القاهرة، ط/ الأولى 1423هـ ، صبح الأعشى (264/1)، جمهرة خطب العرب (292/2)

تسكن بها كبرياء ملامحه، وتارة يهدر بها صوته ويثور بها غضبه، وأخرى يجل بها صمته ويلين بها عذب ابتسامته، وتارة تتدفق بها حماسته، وأخرى تضن وداعته، وتارة يجيش بها قلبه وينطلق بها خياله، وأخرى يدق بها منطقة ويستوى بها اعتداله، وتارة يجللها مشيب رأسه، وأخرى يزينها شباب قلبه، وصفوة القول فقد كانت عظمته نارًا ونورًا وفكرًا وشعورًا وقوة فى وداعة وسكونًا فى حماسة "[1]

وقال: " عجبًا هل تطاول القبر إلى من كان فوق هامات البشر أم أن تلك العظمة الشامخة لما لم تجد علوًا ترتفع إليه قد تواضعت فتدانت حتى ذاك المستقر سبحانك ربى، بل أردت فقدرت فمنك الوجود وإليك المفر "[2]

(3) تنوع الأسلوب حسب تنوع المخاطبين: فلكل قوم خطاب، فالخطيب يواجه أخلاط من الناس منهم المثقف، ومنهم أنصاف المثقفين، ومنهم الأمى ولكل هؤلاء حديث يناسبهم " فالعامة تختار لهم العبارات الساذجة حتى لا تعلو على أفهامهم ولا تسمو على مداركهم، والعلماء يخاطبون بعبارات منتقاه دقيقة محكمة ويُحلى الكلام ببعض الأساليب المنطقية، والمتدينون يستشهدهم بشواهد من الدين، ويحلى الكلام بمقتبسات من الكتب المنزلة والذين شغفوا بآثار الأقدمين يرطب الكلام ببعض أمثالهم وقصصهم وحكمهم والمأثور عنهم

---

(1) عبرات الشرق : المغفور له سعد زغلول باشا، تاريخه فى أدوار حياته وأقوال الكتاب والشعراء فى تأبينه محمد إسماعيل البحيرى ص(281)، ط/ الأولى 1347هـ – 193م، مطبعة السعادة .

(2) المرجع السابق ص (279)

"[1] فلابد أن يكون أسلوبه وسطًا يفهمه العامى والمثقف وأنصاف المثقفين فلا يكون مبتذلاً لدى المثقفين والخاصة، ولا يكون مستعصيًا ومرتعفًا لدى العامة.

(4) إثارة الشعور: لابد للخطيب الذى يريد أن يستولى على قلوب السامعين وتوجيههم إلى الهدف المنشود والغاية المرجوة أن يمزج أسلوبه بماء العاطفة بأن يكون يقظ القلب مرهف الحس جياش المشاعر حاضر الدمعة صادق اللهجة ولذلك كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا خطب أحمرت عيناه وعلا صوته وأشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم[2].

– ويعتمد إثارة الشعور على ما يلى:

(أ) قوة العاطفة: أن يكون الخطيب قوى العاطفة جياش المشاعر صاحب كلمات ملتهبة تخرج من فيه كالطلقات فتصل إلى آذان السامعين فتؤثر فى قلوبهم وتملك جوانحهم وجوارحهم فتوجهها إلى المقصد المنشود والمرمى المأمول: يقول دلامير " إن الذى يكتفى بالإقناع دون التحميس متكلم لا بليغ "، وقال رفالور: إن الأهواء والعواطف هى الخطيب فى الجماهير، وقال ميرابو: " إنما السر فى البلاغة الخطابية أن يكون الإنسان ملتهبًا بالعواطف"[3]، لأن الفكرة والدعوة لابد أن تكون حية فى قلب الخطيب، متوهجة فى ضميره،

---

(1) الخطابة أبو زهرة ص (107)

(2) مسلم كتاب الجمعة – باب تخفيف الصلاة والخطابة حديث رقم [867] (418/3) بشرح النووى.

(3) فن الخطابة : د/ أحمد الحوفى ص (49).

متقدة فى فؤاده تخالط دمه ولحمه وعظامه وأعصابه، وعندئذ ينفذ كلامه إلى قلوب السامعين فيحرك عواطفهم وتثير حميتهم وتحفز هممهم حيث يريد ولذلك يقول ديل كارينجى: " ضع قلبك فى خطابك"(1)

(ب) قوة الخيال: فعلى الخطيب أن يمزج المعانى بشيء من الخيال باختيار العبارات التى تثير فى نفوس المخاطبين ذكريات وتلبسها صورًا تضفى على العبارات القوة والحرارة " فالخطيب يحتاج لخيال مشوق يصور عاطفته على شرط ألا يكثر منه وألا يسوقه على غرار واحد حتى لا يسئم، والجماعة تتأثر بالصور كثيرًا، ومتى كان الخطيب حاذقًا بليغًا أسكر الجمع بتصويره فيثيره ويهدئه"(2)

كما فى خطبة أبو حمزة الشارى الخارجى وهو يدافع عن أتباعه الشباب فقال:"شباب مكتهلون فى شبابهم، غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادة وأطلاح سهر، باعوا أنفسًا تموت غدًا بأنفس لا تموت أبدًا، فمضى الشاب منهم قدمًا حتى التفت رجلاه على عنق فرسه وأختضبت محاسن وجهه بالدماء، وعُفر جبينه بالثرى، وانحطت عليه طير السماء، وتمزقته سباع الأرض، فطوبى لهم وحسن مآب، فكم من عين فى

---

(1) فن الخطابة : ديل كارنيجى ص (81)

(2) فن الخطابة : د/ أحمد الحوفى ص (172).

منقار طائر طالما بكى صاحبها فى جوف الليل من خوف الله، وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فُلق بعمد الحديد"[1].

وهذا تخييل مثير حيث صور أصحابه الشباب الذين عاب عليهم أهل المدينة بحداثة أسنانهم وضعف عقولهم وأحلامهم بهذه الصفات حيث يتمنى كل مستمع لو كان معهم أو كان منهم.

(ج) اختيار الكلمات القوية: فعلى الخطيب الذى يريد أن يكون مؤثرًا فى جمهوره تنفذ كلماته إلى القلوب أن يستعمل الكلمات القوية المؤثرة فى كلامه ولا سيما فى مقام التهديد والتحميس والتهويل فتحمل كلماته ظلالاً فى نفوس سامعيه كما فى خطبة أبو جعفر المنصور: " إن من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خبى هذا الغمد "[2] فانظر إلى الظلال التى تلقيها هذه الكلمات فى نفوس المخاطبين.

(د) التركيز على الجمل القصيرة: فالجمل القصيرة أبلغ فى التأثير، وأيسر فى الأداء، وأسرع فى الفهم، ولا تبعث أبدًا على السآمة والملال، كما فى قول زياد وهو يخطب فى أهل البصرة. " وقد أحدثتم أحداثًا لم تكن، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة، فمن غرق قومًا غرقناه، ومن أحرق قومًا أحرقناه، ومن نقب عن بيت

---

(1) البيان والتبيين للجاحظ (85/2، 86)، تاريخ الطبرى (396/7)، عيون الأخبار لابن قتيبة الدينورى (272/2)، دار الكتب العلمية بيروت 1418هـ ، شعر الخوارج د/ إحسان عباس ص(10) دارالثقافة بيروت لبنان ط/ الثالثة 1994م، أصول الإنشاء والخطابة محمد الطاهر ابن عاشور ص(148) مكتبة دار المنهاج الرياض، السعودية، ط/ الأولى 1433هـ ، تحقيق: ياسر بن حامد المطيرى.

(2) تاريخ الطبرى (94/8)، جمهرة خطب العرب (31/3)

نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرا دفناه حيًا فيه[1]. انظر إلى هذه الجمل التى هى كالطرقات التى تطرق الحديد المحمى كما يفعل نافخ الكير ".

ثالثًا: المقاطع :

فعلى الخطيب اللبق والموفق مراعاة الفصل والوصل أو الوقف والابتداء، ومراعاة مقاطع الكلام أثناء خطابه، وألا يبطئ فى كلامه ولا يسرع فيه أيضًا، وأن يقف على المعنى التام بلفظ أخاذ ورنين قوى، يقول الأحنف بن قيس – رضى الله عنه– " ما رأيت رجلاً تكلم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام ولا عرف حدوده إلا عمرو بن العاص كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام، وأعطى حق المقام، وغاص فى استخراج المعنى بألطف مخرج حتى كان يقف عند المقطع وقوفًا يحول بينه وبين تبعته للألفاظ "[2]

وقال معاوية – رضى الله عنه– لعمرو بن سعيد: يا أشدق قم عند قدوم العرب فسل لسانك وجل فى ميادين البلاغة، وليكن التفقد لمقاطع الكلام منك على بال فإنى شهدت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أملى على بن أبى طالب – رضى الله عنه –كتابًا وكان يتفقد مقاطع الكلام[3].

---

(1) البيان والتبيين للجاحظ (41/2)، العقد الفريد (200/4)، نثر الدرر (7/5)، التذكرة الحمدونية لبهاء الدين البغدادى (249/6)، دار صادر بيروت ، ط/ الأولى 1417هـ.

(2) الصناعتين لأبو الهلال العسكرى ص(438)

(3) المرجع السابق ص(439)

" فمقاطع الكلام كانت غرضًا يطلبه المجيدون من البلغاء والخطباء لأن حسنه يجعل المعنى لدى السامع واضحًا والرنين مؤثرًا والوقف جميلاً ويجعل الإلقاء أبلغ تجميل "[1].

وإن أهمل الخطيب هذا الأمر وهو الوقوف عند الموطن المناسب يوقع المستمع فى حرج لأن المعنى لم يكتمل فى ذهنه وقلبه وقد ذم الرسول – صلى الله عليه وسلم– هذا الصنف من الخطباء فقد ذكر القاضى عياض أن خطيبًا خطب عند النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال " من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما " فقال له النبى – صلى الله عليه وسلم – بئس خطيب القوم أنت، قم أو قال اذهب، قال أبو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكتابة لما فيه من التسوية وذهب غيره إلى أنه إنما كره له الوقوف على يعصهما[2] .

فمن أراد أن يكون خطيبًا موفقًا لبقًا يشار إليه بالبنان أن يراعى ألفاظه وأسلوبه ومقاطع كلامه حتى يصل إلى التأثير المطلوب على سامعيه ويستولى على مشاعر وأحاسيس مخاطبيه، ويبتعد بعدًا كليًا عن اللزمة واللكنة وجمل الاستعانة، لأن كل ذلك يؤدى بالمستمع إلى السآمة والمَللُ.

(1) الخطابة لأبو زهرة ص(109)

(2) الشفا فى تعريف حقوق المصطفى للقاضى عياض (65/1) دار الفيحاء عمان ط/ الثانية 1407هـ، عروس الأفراح فى شرح التلخيص لبهاء الدين السبكى (303/1)، المكتبة العصرية بيروت، لبنان ط/ الأولى 1423هـ – 2003م، تحقيق/ د/ عبد الحميد هنداوى، فن الإلقاء عبد الفتاح مقلد ص(126) مكتبة الفيصلية.

المبحث الثالث
التأثير

إن الحق الذى لا مرية فيه، والحقيقة التى لا لبس فيها ولا غموض والتى لا يمتار فيها أحد أن هدف الخطيب من خطبته ليس إقناع الجماهير أو إمتاعهم بما يقول فحسب، وإنما يهدف بجانب الإقناع والإمتاع إلى التأثير فى المخاطبين وإثارة عواطفهم، وإشعال مشاعرهم، وإلهاب أحاسيسهم حتى يتحمسوا إلى الفكرة التى يدعو إليها ويبذلوا الغالى والرخيص فى سبيل تحقيقها وانتشارها، ومن وسائل التأثير على المخاطبين ما يلى:

1- الإقتناع بما يدعو إليه والتأثر به: **إن على الخطيب الذى يريد أن يؤثر فى الناس أن يكون هو أولاً مقتنع بدعوته متأثر بفكرته لأنه لو كان مقتنعًا بدعوته أقنع غيره وإذا تأثر بفكرته أثر فيمن يستمع إليه لأنه لا يؤثر إلا المتأثر ، وكما يقول عامر بن قيس: " الكلمة إذا خرجت من القلب وصلت للقلب، وما خرج من اللسان لم يجاوز الآذان"[1]، ولأن فاقد الشيء لا يعطيه، وهل يستقيم الظل والعود أعوج وهل يلبس الخاتم مقطوع اليدين بالطبع لا، وكما يقول ديل كارنيجى: "ضع قلبك فى خطابك"[2] وقد سأل عمر بن ذر والده وكان خطيبًا مفوهًا ومؤثرًا فى كل من استمع إلى خطابه قائلاً: ما بال الناس إذا وعظتهم بكوا وإذا وعظهم غيرك لم يبكوا؟ قال: يا بنى ليست النائحة**

---

(١) البيان والتبيين: للجاحظ (88/1)

(٢) فن الخطابة ص(81)

الثكلى مثل النائحة المستأجرة[1]، ولما استمع الحسن البصرى إلى خطبة بليغة ولكنه لم يتأثر بها وهو العليم بقلبه الذى يرق بأدنى كلمة توجه إلى الخطيب قائلاً له " يا هذا بقلبك لشر أو بقلبى "[2]

ولذلك قال الشاعر هوراس: " إذا أردت منى أن أبكى فعليك أن تبكى أنت أولاً[1] "فالخطيب الذى تأثر بدعوته وجدها حية فى قلبه، متقدة فى فؤاده، متوهجة فى ضميره، تسرى فى جنبات نفسه مع دمائه كسريان الماء فى العود الأخضر " تحس بدعوته فى النظرة والحركة والإشارة وفى السمة التى تختلط بماء وجهه، وهو الذى ينفذ كلامه إلى قلوب الجماهير فيحرك عواطفهم إلى ما يريد من أمر دعوته"[4] ومن ثم ينقلهم من محيط إلى محيط، من محيط المادية إلى محيط الروحانية والربانية بأساليب تلهب الحس وتوقظ النفس وتثير الحمية وتحفز الهمة، وإلا أحسوا بالفتور وضاع أثر خطبته ومقالته لأن تأثره يغذى مخاطبيه.

يقول الشيخ أبو زهرة: الحق أن قوة الاعتقاد والتأثر به يكسب الكلام حرارة والصوت رنات مؤثرة، والألفاظ قوة، والمعانى روحًا وتحيل الملامح

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه (149/3)، دار الكتب العلمية – بيروت ط/ الأولى 1404هـ

(٢) البيان والتبيين: للجاحظ (88/1)

(3) الخطابة لأرسطو (97/1)

(4) تذكرة الدعاة للبهى الخولى ص(55)

والنظرات نورًا يشع شعاعًا يصور ما فى القلب من إيمان قوى وإخلاص عظيم وكل هذا يخلق جواً عاطفيًا حول الخطيب يجعل كلامه متصلا بالوجدان[1].

2- المشاركة الوجدانية: **نقصد بالمشاركة الوجدانية للخطيب " الحالة الانفعالية أو الوجدانية التى تكون عند الإنسان إذا وجد إنسانًا آخر متأثرًا فتجعله يشعر بنفس شعوره كما لو انتقل هذا الشعور بطريق العدوى "[2] فعلى الخطيب الذى يريد أن يؤثر فى مخاطبيه ومخالطيه أن يشعر بما يشعرون، وأن يشاركهم أفراحهم يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، ويتألم لألمهم، ويحلم بأحلامهم ويتعاون معهم فى دقيق أمورهم وجليلها، يتعايش معهم آلامًا وآمالا " ليكون الاتصال الروحى أداة تأثير فى الجماعة ويستخدمه فى استفزاز مشاعرها أو تهدئة ثائرتها، وليملى عليها ما يريد من آراء إذ أن ذلك الإحساس المشترك بينهما يجعله قادرًا على إثارة ميولها وإصابة أهوائها ودفعها لما يرمى"[3].**

إن المشاركة الوجدانية للخطيب مع سامعيه ومخالطيه لها قوتها ودورها فى تحقيق الوصال والاتصال، وكذلك تحقيق التأثر والتأثير يقول الأستاذ فتحى يكن " أن الخطيب أو الداعية بحق هو الذى يعيش لسواه لا لنفسه، ويكون ديدنه الدوران حول المجتمع وحول المسلمين وليس حول ذاته، وهو الذى يعمل على

---

(1) الخطابة لأبو زهرة ص(55)

(2) علم النفس: أ/ حامد عبد القادر، محمد عطية الأبراش، محمد مظهر سعيد نقلاً عن الخطابة للشيخ أبو زهرة ص (55)

(3) الخطابة : للشيخ أبو زهرة ص(56)

توفير الراحة للآخرين ولو على حساب راحته فإذا قامت هذه الوشائج بين الداعية أو الخطيب وبين الناس تحقق الوصال والاتصال وتحقق التأثر والتأثير ونجحت المهمة وآتت الدعوة أكلها بإذن ربها"[1]

ولقد برهنت السيدة خديجة – رضى الله عنها – على صدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ونجاحه فى دعوته بتلك المشاركة التى كانت بين النبى – صلى الله عليه وسلم – وبين مجتمعه الذى كان يعيش فيه قالت: كلا والله لا يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق[2].

ولهذا نقول أن الخطيب ينقاد ليقود، ويطيع ليطاع، ويأخذ ليعطى، ويتأثر ليؤثر ويشارك الناس وجدانيًا ليسمعوا توجيهه فيوجههم الوجهة التى يريدها حسب المنهج المرسوم.

3- الإلحاح على الفكرة: **إن علاج الأمراض والأدواء المتفشية، والمشاكل المنتشرة فى المجتمع ليس بالأمر الهين أو اليسير، ولن تعالج هذه الأمراض، ولن تحل تلك المشاكل بمجرد خطبة أو خطبتين يلقيها الخطيب، ولذا كان لزامًا على الخطيب الذى يريد أن يصل إلى ما يصبو إليه من امتلاك نواصى المستمعين والتأثير فيهم أن يلح على فكرته ويكررها ويؤكدها دومًا دون كلل**

---

(1) الاستيعاب فى حياة الدعوة والداعية أ/ فتحى يكن ص(64)، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط/ السادسة 1985م.

(2) البخارى كتاب بدء الوحى – باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حديث رقم (3) (30/1) من الفتح.

ولا ملل وحقًا ما قاله الشيخ طه محمد الساكت: " وإلى التكرار يرجع الفضل الأول فى تكوين الأخلاق وتربية النفوس وهل حياتنا كلها – مادية وأدبية وفردية واجتماعية – إلا مجموعة مكررة وصور معادة إن علماء النفس والأخلاق لم يكونوا مبالغين حينما قالوا: إن التكرار الحكيم وهو ما تكون على فترات من أهم وسائل الحفظ والذكر وتربية العادات الحسنة، وما أعمال المرء إلا مجموعة عادات وآثارها المتكررة، إن من النادر أن يستمر الشيء قويًا فى الذهن إذا خطر به مرة واحدة، لأن الصور العقلية تضعف تدريجيًا بمرور الزمن فلابد من تكرارها لترسخ فى الذهن ويعمل آثارها فيه وهكذا النصائح والمواعظ لابد من تكرارها على فترات لتأخذ من النفس مأخذها وتصل إلى القلوب فتحفظها ومن ثم ندرك حكمة الشرع الشريف فى تكرار الخطب والمواعظ فى كل جمعة وعند كل مناسبة[1].

ويقول جوستاف لوبون: وهو من علماء الاجتماع " إن التوكيد والتكرار عاملان قويان فى تكوين الآراء وانتشارها"[2].

وقال فى كتاب روح الاجتماع: " للتكرار تأثير كبير فى عقول المستنيرين وتأثير أكبر فى عقول الجماعات من باب أولى والسبب فى ذلك كون المكرر

---

(1) أهمية التكرار، فضله، حكمته شدة الحاجة إليه فى الترتيب والتهذيب: الشيخ طه محمد الساكت مقال فى مجلة الإسلام السنة التاسعة العدد(15) ربيع الثانى 1359هـ – مايو 1940م

(2) كتاب الآراء والمعتقدات: جوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر ص(145)، كلمات عربية للترجمة والنشر سنة 2012م

ينطبع فى تجاويف الملكات اللاشعورية التى تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان فإذا انقضى شطر من الزمن نسى الواحد منا التكرار وانتهى بتصديق المكرر وهذا هو السر فى تأثير الإعلانات العجيب[1].

ولقد سبق علماء التربية والاجتماع إمام المربين وقائد المصلحين وخاتم النبين – صلوات الله وسلامه عليه – إلى بيان أهمية التكرار فقد كان – صلى الله عليه وسلم – إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا حتى تفهم عنه[2].

إذن الإلحاح على الفكرة وتكرارها والتوكيد عليها كان منبهًا للمشاعر لافتًا للأنظار فيجب على الخطيب أن يتجه إليها " فالتكرار أولى فى مقام الأطناب، والتوكيد أولى فى مقام الإيجاز "[3] إن هذا التكرار للفكرة والإلحاح عليها يساعد على استمرار التأثير المطلوب وتعميقه فى النفوس، وفى نفس الوقت يمنع التأثير المضاد أو المخالف، ولكن يجب أن يلاحظ فى التكرار أن يكون بعبارات مختلفة وأساليب مغايرة حتى لا يمل السامع أو يسأم المخاطب، ومن ثم يجد لدعوته صدى ويجنى الثمرة المرجوة من خطابه.

(4) حسن المظهر وجمال الهيئة: **إن النظر إلى مظهر الخطيب وهيئته يفعل فى قلب المستمع ويؤثر فيه ما يفعله الكلام فى القلب اقناعًا وامتاعًا عن**

---

(1) روح الاجتماع: جوستان لوبون، ترجمة أحمد فتحى زغلول باشا ص (157، 158)، مطبعة دار الشعب، 1327هـ – 1909م.

(2) البخارى – كتاب العلم – باب من أعاد الحديث ثلاثًا ليفهم عنه حديث رقم (95) (227/1) الفتح.

(3) الخطابة لأبو زهرة ص(66)

الطريق السمع، ومن هنا كان لزامًا على الخطيب الاهتمام بشكله ومظهره والاعتناء بجمال هندامه وهيئته فلا يقل هذا شأنًا عن ضرورة الاهتمام بإعداد موضوعه وتنسيقه وقوة فكرته، وأن يعلم الخطيب الموفق أن تأثيره على سامعيه ومخالطيه يتحقق بحسن هيئته وجمال هندامه، كما يتحقق بجودة فكرته وجمال أسلوبه وحسن إلقائه حتى ينجح فى تحقيق هدفيه التى يسعى إليهما ويريد أن يجنى ثمارهما وهما إقناع العقول وإمتاع النفوس، يُروى أن إياس بن معاوية المزنى أتى حلقة من حلق قريش فى مسجد دمشق فاستولى على المجلس ورأوه أحمر دميمًا باذ الهيئة قشفًا فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا إليه وقالوا : " إن الذنب مقسوم بيننا وبينك أتيتنا فى زى مسكين وتكلمنا بكلام الملوك "(1) ولما رأى أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان – رضى الله عنهما – النخار بن أوس العذرى لم يعبأ به وأنكر مكانه رزاية به فأحس النخار بالحرج وقال: " يا أمير المؤمنين إن العباءة لا تكملك إنما يكملك من فيها "(2).

---

(1) البيان والتبيين للجاحظ : (100/1) الرسائل الأدبية للجاحظ ص (231)، دار ومكتبة الهلال – بيروت ، ط/ الثانية 1423هـ .

(2) تاريخ الطبرى (336/5)، البيان والتبيين (200/1)، عيون الأخبار (414/1)، الكامل للمبرد (125/2)، الجليس الصالح الكافى والأنيس الصالح الشافى لأبى الفرج النهروانى ص(443)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/ الأولى 1426هـ – 2005م، تحقيق: عبد الكريم سامى الجندى، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهانى (377/2)، شركة دار الأرقم بن أبى الأرقم بيروت ط/ الأولى 1420هـ .

وعناية الخطيب بلباسه وهيئته له تأثير بالغ على الخطيب نفسه فى وقاره وثقته بنفسه، ومما يروى أن أحد العلماء النفسانيين أرسل إلى مجموعة كبيرة من الناس وسألهم عن تأثير الملابس فيهم شهد جميعهم دون استثناء بأنهم حين يكونون فى أبهى زينة وأجمل ملبس ويعرفون ذلك ويحسونه فإنهم يملكون زمام أنفسهم ولا يخطئون[1].

ويكفى الخطيب أن اهتمامه بمظهره وهيئته من هدى النبي – صلى الله عليه وسلم – فعن عائشة – رضى الله عنها – قال: كان نفر من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ينتظرونه على الباب فخرج يريدهم وفى الدار ركوة فيها ماء فجعل ينظر فى الماء ويسوى لحيته وشعره قالت عائشة: فقلت يا رسول الله وأنت تفعل هذا ؟ قال: نعم إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيء من نفسه فإن الله جميل يحب الجمال[2].

(5) حسن الإشارة: الإشارة تشرك العين مع الأذن فى الإحاطة بالمعانى وتصورها فهى لغة منظورة متحركة مفهومة، فإذا وضعت الإشارة وتلك الحركة فى موضعها أثرت فى السامعين تأثيرًا عظيمًا، ولذا أكد العلماء على أهمية الإشارة والحركة فى مجال الخطابة والتأثير يقول الشيخ على محفوظ: الإشارة الخطابية حركات تبدو من جسم الخطيب ووجهه ورأسه وجوارحه من

(1) علم الخطابة: د/ أحمد علوش ص (157)
(2) انظر إلى تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (197/7)، عند تفسير قوله تعالىﮋ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵﮊ [الأعراف: 32] دار الكتب المصرية القاهرة ، ط/ الثانية 1384هـ – 1964م تحقيق: أحمد البردولى وإبراهيم أطفيش.

شأنها تأييد الكلام الذى يتفوه به، وحسنها من تمام حسن البيان باللسان .... ولها فى الخطابة شأن عظيم لأنها تشرك النطق فى نقل الفكر متخذة البصر لها سبيلا، فهى اللغة التى يفهمها كل إنسان وما تحدثه من تأثير لا تأتى بمثله لغات العالم، ولا يكاد صاحب حديث يستغنى عنها[1].

" لهذا كان للإشارة أثر فى إثارة الانتباه والشعور، وتقوية الدلالة لأن المعنى معها تدل على دلالتان بل ثلاث دلالات: أحدها لفظية، والثانية صوتية، والثالثة تلك الإشارات البيانية "[2].

وقد استخدم النبي – صلى الله عليه وسلم – الإشارة فى خطبه ومواعظه فكان لها أبلغ الأثر وأعظم التأثير فى مثل قوله– صلى الله عليه وسلم – " أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين هكذا وقال بإصبعيه السبابة والوسطى "[3].

ومثل قوله – صلى الله عليه وسلم – " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه "[1]

---

(1) فن الخطابة وإعداد الخطيب: للشيخ على محفوظ (67) بتصرف يسير

(2) الخطابة: للشيخ أبو زهرة ص(122)

(3) البخارى كتاب الأدب – باب فضل من يعول يتيمًا حديث[6005] (450/10) من الفتح، مسلم كتاب الزهد والرقائق – باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم حديث رقم [2983] بشرح النووى وفيه زيادة أشار مالك بالسبابة والوسطى (339/9)

وحتى يجنى الخطيب من الإشارات والحركات الثمرة المرجوة والتأثير المطلوب فى المخاطبين لابد لها من شروط فيها:

1- أن يقتصد فى استعمالها قدر الإمكان، وألا يبالغ فيها.

2- ألا تسبق الكلام، وألا تأتى بعده.

3- أن تتفق مع المعنى.

4- ألا تغطى الإشارة الوجه.

5- ألا يستعمل الخطيب الإشارة فى مقام صفات الله كاليد والإصبع والوجه مثلاً.

6- تنوع الإشارات حسب اختلاف المقامات الخطابية.

وعلى هذا فلا ينبغى للخطيب أن يهمل الإشارة والحركة والملمح إذا أراد التأثير فى الجمهور يقول الجاحظ: " الإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هى له ونعم الترجمان هى عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وتغنى عن الخط[2].

(6) السيرة الحسنة: **فإذا كان الخطيب حسن السيرة طيب السمعة أثر كلامه فى مخاطبيه ومخالطيه، وتأسوا واقتدوا به فى أقواله وأفعاله، لأن هذه السيرة الطيبة والسمعة الحسنة تبعث على تصديقه، وبالتالى تتأثر بكلامه القلوب وتنفعل بصدق حديثه النفوس لأن أعين الناس معقودة بحال الخطيب عملاً أو تركًا .**

---

(1) البخارى كتاب الأدب – باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضا حديث رقم [6026] (464/10)

(2) البيان والتبيين (83/1)

قال عتبة بن أبى سفيان لعبد الصمد معلم ولده " ليكن أول ما تبدأ به من الناس إصلاحك بنى إصلاحك نفسك فإن أعينهم معقودة بعينك فالحق عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت "

فالأعمال الصالحة ما صنع الخطيب، والقبيحة ما ترك الخطيب، فهذا خطيب الأنبياء سيدنا شعيب – عليه السلام – يحكى القرآن الكريم قوله لقومه ژقَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ **ژ ومن أعظم الأدلة على سرعة تأثر الناس بالقدوة الحسنة والأسوة الصالحة من أى كلام يقال أو أى خطاب يلقى ما ثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – دعا الصحابة يوم الحديبية إلى الحلق ونحر الهدى والتحلل من الإحرام فلم يلتفت أحد من الصحابة إلى هذا الأمر رغم تكرير النبي – صلى الله عليه وسلم – فلما دخل – صلى الله عليه وسلم – على السيدة أم سلمة أم المؤمنين – رضى الله عنها – وقص عليها ما حدث أشارت عليه بأن يخرج ولا يكلم أحدًا حتى ينحر ويحلق ليقتدى الناس به – صلى الله عليه وسلم – عملياً وكان كما أشارت – رضى الله عنها – فعن مسور بن مخرمة قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا، قال: فو الله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقى من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم**

حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غما"[1].

فالخطيب نموذج حى متحرك بين الناس يجسد دعوته فى أقواله وأفعاله وأحواله، والناس يرقبون كل ذلك فيه، فإذا كان حسن السيرة، طيب السمعة خرجت كلماته فأصابت محلاً فى قلوب الناس وتأثروا بها، وإلا كانت كلماته مهما كان لسنا فصيح اللسان بليغ العبارات كالذى يحرث فى الماء أو ينفخ فى الرماد أو يكتب على الرمال سرعان ما يزول أثرها وينعدم نفعها، وتذهب فائدتها لأن التأثير بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثير بالكلام فقط.

يقول الشيخ على محفوظ: " إن من حث الناس على التحلى بفضيلة وهو عاطل عنها أو التخلى عن رذيلة وهو ملوث بها لا يقابل قوله إلا بالرد ولا يعامل إلا بالإعراض والإهمال، بل يكون موضع حيرة البسطاء ومحل سخرية العقلاء(1).

ويقول أيضًا: فى موضع آخر " وبالجملة يجب على من يتصدى لإصلاح الناس أن يكون حسن الطريقة، مرض السيرة عنوان الفضيلة، ومثال الكمال فى أقواله وأفعاله، وسائر أحواله .... وكان من غير شك وارثًا نبويًا وكوكبًا يستضاء به .... وسهل عليه أن يخرج الناس من ظلمات الجهل إلى أنوار العلم وينقذهم من

---

(1) القصة بتمامها فى صلح الحديبية البخارى كتاب الشروط – باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ، حديث رقم [2731 ، 2732] (5/388: 391)

(2) هداية المرشدين : الشيخ على محفوظ ص (90)

ذل المعصية إلى عز الطاعة واستطاع أن يداوى القلوب ويهذب النفوس..... وأمكنه أن يحول بين الأمة والرذائل بسور منيع من زواجره ونصائحه وترغيبه وترهيبه، ولكان ملكًا مطاعًا يرجع الخلق كلهم إليه، ويقتدون بهديه وبحق يستولى على القلوب ويتغلب على الأرواح ويتصرف فيها كما يشاء "(1)

والخلاصة**: فإن الخطيب لن ينجح فى التربية، وفى أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وفى توجيهه وإرشاده ونصحه وتأثيره فى مخاطيبه ومخالطيه إلا إذا كان حسن السيرة طيب السمعة، واعتمد على الأسوة الحسنة وأن يفعل أكثر من أن يقول عندئذ كان لدعوته صدى ومردودًا لدى الناس فرب حال أغنى عن ألف مقال، فالأفعال قبل الأقوال هى الوسيلة الفعالة لنشر الدعوة والتأثير فى الناس، أما الكلمة دون قدوة تصاحبها وسلوك يترجمها فلا جدوى منها ولا ينتظر لها تأثيرًا فى نفوس السامعين.**

(1) المرجع السابق ص(115) باختصار .

الخاتمة
أسأل الله حُسنها

فى ختام هذه الدراسة، وبعد هذه اللمحة اليسيرة فى هذا الموضوع المهم من وجهة نظرى المتواضعة نستطيع أن نصل إلى مجموعة من الحقائق أو النتائج التى أثبتتها هذه الدراسة ومنها:

1- للخطابة مكانة عالية، ومنزلة سامية فى حياة الأمم والجماعات والأفراد.

2- أن الخطابة من أهم الوسائل التى اعتمدت عليها الدعوة الإسلامية فى نشر مبادئها، وبيان تعاليمها فى كل زمان وفى كل مكان وفى كل عصر وفى كل مصر.

3- أن الخطابة وظيفة الأنبياء والمرسلين والدعاة والمصلحين ولسان القادة فى ساحات الوغى، وصوت المظلومين فى إقامة العدل فى ساحات القضاء ولسان الساسة والأحزاب السياسية، وأنها تفض المشاكل والنزاعات والخصومات وترد الناس إلى واحة السلم والسلام ودوحة الأمن والأمان.

4- أن الخطيب الذى يتحمل مسئولية البلاغ عن الله تعالى لابد أن يكون موهوبًا ملمًا بقواعد وأصول علم الخطابة، ممارسًا لها وإلا ترك المجال لغيره ممن عندهم الكفاءة حتى لا يضر من حيث أراد النفع.

5- أن الخطيب الذى يريد أن يستحوذ على القلوب وإقناع عقول الناس ويصل إلى التغيير المنشود فى سلوكيات الناس لا يلقى على مسامعهم كلامًا مرسلاً، وإنما لابد أن يعتمد على الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة والحجج الدامغة للتدليل على صدق كلامه وصحة فكرته.

6- لا يستطيع الخطيب أن يصل إلى إمتاع النفوس إلا ببراعة الأسلوب وتنوعه، وجودة التعبير فى قوة عاطفته، وحسن اللفظ ووضوحه وتناسبه.

7- إن مراد الخطيب ليس إقناع العقول بقوة حجته، وإمتاع النفوس ببلاغته ومنطقه، وإنما مراده التأثير فى المخاطبين والمخالطين وإثارة عواطفهم وإشعال مشاعرهم.

8- أن الخطيب نموذج حى متحرك بين الناس يجسد دعوته بأقواله وأفعاله وأحواله وحسن سيرته ونقاء سريرته وطيب سمعته.

هذا وبالله التوفيق وعليه التكلان وأعوذ بالله من الخذلان

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين

والحمد لله رب العالمين

المراجـع

1- القرآن الكريم جل من أنزله

2- الآراء والمعتقدات: جوستان لوبون ترجمة عادل زعيتر، كلمات عربية للترجمة والنشر سنة 2012م.

3- أساس البلاغة للزمخشرى، دار الكتب العلمية، ط/ الأولى 1419هـ - 1998م، تحقيق: محمد باسل عيون السود.

4- الاستيعاب فى حياة الدعوة والداعية:أ/ فتحى يكن مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ السادسة 1985م.

5- أصول الإنشاء والخطابة: محمد الطاهر بن عاشور مكتبة دارالمنهاج، الرياض السعودية، ط/ الأولى 1433هـ، تحقيق: ياسر بن حامد المطيرى.

6- البلاغة والأدب: الشيخ إبراهيم الصباغ ، بيروت

7- البيان والتبيين للجاحظ ، دار مكتبة الهلال ، بيروت 1423هـ

8- تاريخ الأمم والملوك للطبرى ، دار التراث ، بيروت ، ط/ الثانية 1387هـ

9- تاريخ الدعوة : د/ جمعة الخولى ، دار الطباعة المحمدية ، ط/ الأولى 1984م

10- التذكرة الحمدونية: لبهاء الدين البغدادى، دار صادر بيروت، ط/ الأولى 1417هـ

11- تذكرة الدعاة : البهى الخولى ، مكتبة دار التراث ، ط/ الثانية 1408هـ - 1987م
12- ثقافة الداعية : د/ يوسف القرضاوى، مكتبة وهبة القاهرة، ط/ الثامنة 1406هـ - 1986م
13- الجامع لأحكام القرآن: للإمام القرطبى، دار الكتب المصرية القاهرة، ط/ الثانية 1384هـ - 1964م، تحقيق أحمد البردولى وإبراهيم أطفيش.
14- الجليس الصالح الكافى والأنيس الصالح الشافى: لأبى الفرج النهروانى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط/ الأولى 1426هـ - 2005م، تحقيق عبد الكريم سامى الجندى.
15- جمهرة الأمثال: لأبى الهلال العسكرى، دار الفكر بيروت.
16- جمهرة اللغة : للآزدى دار العلم للملايين، تحقيق: رمزى منير بعلبكى ، ط/ الأولى 1997م
17- جمهرة خطب العرب فى العصور العربية الزاهرة، أحمد زكى صفوت، المكتبة العلمية بيروت
18- الخطابة أصولها وتاريخها فى أزهى عصورها عند العرب: للإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربى القاهرة.
19- الخطابة فى الإسلام وإعداد الخطيب الداعية: د/ مصلح سيد بيومى، مكتبة المجلد العربى القاهرة، ط/ الثانية 1408هـ - 1988م
20- الخطابة فى موكب الدعوة: د/ محمود محمد عمارة، مطبعة وزارة

الأوقاف
21- الخطابة لأرسطو طاليس ترجمة د/ عبد الرحمن بدوى، ود/ إبراهيم سلامة دار القلم بيروت 1979م
22- الخطابة وإعداد الخطيب: د/ عبد الجليل شلبى، دار الشروق، ط/ الثالثة 1408هـ - 1987م
23- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: للزمخشرى مؤسسة الأعلمى، بيروت، ط/ الأولى 1412هـ
24- الرسائل الأدبية: للجاحظ دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط/ الثانية 1423هـ
25- روح الاجتماع: جوستان لوبون، ترجمة أحمد فتحى زغلول باشا، مطبعة دار الشعب
26- سلسلة مدرسة الدعاة : د/ عبد الله ناصح علوان، دار السلام للطباعة والنشر، ط/ الأولى 1422هـ - 2001م
27- السيرة النبوية دروس وعبر: د/ مصطفى السباعى ، المكتب الإسلامى، ط/ التاسعة 1406هـ - 1986م
28- شعر الخوارج: د/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط/ الثالثة 1994م
29- الشفا فى تعريف حقوق المصطفى: للقاضى عياض دار الفيحاء، عمان، ط/ الثانية 1407هـ
30- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى، دار الكتب العلمية،

بيروت

31- الصحاح للجوهرى، دار العلم للملايين ، ط/ الرابعة 1407هـ – 1987م، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا.

32- صحيح البخارى: دار الريان للتراث والمكتبة السلفية ، تحقيق محب الدين الخطيب، ومحمد فؤاد عبد الباقى، ط/ الثالثة 1407هـ بشرح ابن حجر العسقلانى.

33- صحيح مسلم : دار أبى حيان للطبع والنشر، تحقيق: عصام الصبابطى وحازم محمد ، وعماد عامر، ط/ الأولى 1415هـ – 1995م بشرح النووى

34- الصناعتين : أبو الهلال العسكرى ، المكتبة العصرية ، بيروت 1419هـ ، تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم.

35- عبرات الشرق على الزعيم المغفور له سعد زغلول باشا، تاريخه فى أدوار حياته وأقوال الكتاب والشعراء فى تأبينه محمد إسماعيل البحيرى، ط/ الأولى 1347هـ – 1937م، مطبعة السعادة.

36- عدة الداعية : د/ فرج محمد الوصيف، مكتبة الإيمان للطباعة والنشر

37- عروس الأفراح فى شرح التلخيص: لبهاء الدين السبكى، المكتبة العصرية، بيروت، ط/ الأولى 1423هـ – 2003م، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوى.

38- العقد الفريد: لابن عبد ربه دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى 1404هـ

39- عيون الأخبار: لابن قتيبة الدينورى، دار الكتب العلمية، بيروت 1418هـ
40- الفاخر لأبى طالب بن عاصم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى، ط/ الأولى 1380هـ ، تحقيق: عبد العليم الطحاوى.
41- فن الإلقاء : عبد الفتاح مقلد، مكتبة الفيصلية.
42- فن الخطابة : ديل كارنيجى دار ابن الجوزى ، ط/ الأولى 2012م
43- فن الخطابة للشيخ على محفوظ، دار الاعتصام 1984م
44- فن الخطابة: د/ أحمد محمد الحوفى، دار النهضة مصر، ط/ الثانية 1998م
45- القاموس المحيط للفيروزآبادى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/ الثامنة 1426هـ - 2005م، تحقيق مكتبة التراث
46- قواعد الخطابة ووقفة العيدين: د/ أحمد غلوش، دار البيان، ط/ الأولى 1979م
47- الكامل فى اللغة والأدب : أبو العباس المبرد، دار الفكر العربى ، القاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ الثالثة 1417هـ - 1997م
48- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط/ الثالثة 1414هـ
49- مجلة أصول الدين والدعوة بأسيوط، العدد الثالث 1985م
50- مجلة الإسلام: السنة التاسعة، العدد الخامس عشر 1359هـ - 1940م

51- مجمع الأمثال: لأبى الفضل النيسابورى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، تحقيق: محى الدين عبد الحميد
52- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء: للراغب الأصفهانى شركة دار الأرقم بن أبى الأرقم، بيروت، ط/ الأولى 1420هـ.
53- مختار الصحاح: لأبى بكر الرازى المكتبة العصرية، بيروت، ط/ الخامسة 1420هـ - 1999م تحقيق: يوسف الشيخ محمد
54- المخصص : لابن سيده دار التراث العربى، بيروت 1417هـ - 1996، تحقيق : خليل إبراهيم جفال
55- المدخل لدراسة الخطابة وطرق تبليغ الإسلام : د/ مصطفى أحمد أبو سمك، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع، ط/ الأولى1413هـ - 2012م
56- مسند أحمد ، طبعة مؤسسة الرسالة، ط/ الأولى 1421هـ - 2001م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط
57- مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة : الشيخ محمد الغزالى، دار الكتب الإسلامية، ط/ السادسة 1405هـ - 1985م
58- المعجم الوجيز: المطابع الأميرية 2006م
59- نثر الدر فى المحاضرات: لأبى سعد الآبى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/ الأولى 1424هـ - 2004م، تحقيق: عبد الغنى محفوظ
60- نهاية الأرب فى فنون الأدب شهاب الدين النويرى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط/ الأولى 1423هـ .